باب الحياة

مجموعة قصصية

تأليف

أحمد سعيد

obeikandl.com

طبعة ٢٠١٧

سعيد، أحمد.

باب الحياة: / أحمد سعيد – .- الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

١٦٤ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٥٠٦٥ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة.

أ - العنوان

٨١٣٠,١

obeikandl.com

باب الحياة

مجموعة قصصية

تأليف

أحمد سعيد

obeikandl.com

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٦/٢٧٢٦٣

الترقيم الدولى

٥-٥٠٦-٣٩٩-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : باب الحياة

المؤلف : أحمد سعيد

الغلاف : إسلام البلاط

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

obeikandl.com

إهداء

إلـى شـريكة الحيـاة.... أمانـي... التـي تحققـت بالنسـبة لـي، ولكنهـا ظلـت بالنسـبة للآخريـن مجـرد... أمانـي...

obeikandl.com

على الرغم من أن اغلب الأحداث في هذه القصص قد حدثت بالفعل، إلا أن أي تشابه بينها وبين الواقع هو من قبيل (المصادفة).

obeikandl.com

المهاجر

obeikandl.com

obeikandl.com

.....وضع ياسين حقيبته على ساقيه اللتين لم تتوقفا عن الاهتزاز منذ أن جلس على هذا المقهى الشعبي، مد يده ليلتقط كوب الشاي الساخن وأخذ يرشف منه رشفات سريعة محاولاً أن يبعث الدفء في جسده.

وضع هاتفه المحمول أمامه وهو يختلس نظرة سريعة إلى شاشته بين الحين والآخر في انتظار مكالمة الأسطي محمدالذي اتفق معه على اللقاء في هذا المكان في التاسعة مساء، أخذ ياسين ينظر لكل من يمر من أمام المقهى عسى أن يراه على الرغم من وصوله مبكرًا عن موعد اللقاء.

عاود التطلع إلى شاشة هاتفه وتأكد من أنه يستطيع استقبال المكالمات وحاول الاسترخاء في كرسيه عسى أن ينال قسطًا من الراحة بعد السفر المتواصل طيلة اليوم، كان قد وصل دمنهور في الظهيرة قادمًا من محافظته الأصلية بني سويف ومنها استقل سيارة أخرى إلى رشيد وما إن وصلها حتى ركب وسط العديدين على سطح عربة نصف نقل إلى إحدى القرى التابعة لها وها هو ينتظر على المقهى الذي يقع في أول القرية بجوار موقف سيارتها في انتظار الفرج المتوقع أن يأتي على يد الأسطى محمد.

أخذ يسترجع وجه والدته وهي تودعه بالدعوات ودموعها تسبق كلماتها وبكاء أخواته وهم يرون رجلهم الوحيد وهو يترك

البيت ويسافر، كان ياسين هو الابن الوحيد مع ثلاثة شقيقات ولدن بعده وعلى الرغم من أن والده كان يعمل موظفًا بسيطًا بإحدى المصالح الحكومية القريبة من قريتهم إلا أنه حرص على تعليم ابنه وبناته، ومع زيادة مصاريف و متطبات الحياة بدأت زوجته تساعده عن طريق بيع الجبن والزبد والبيض البلدي لبعض المعارف ، كان يفتخر بتفوق أبنائه في الدراسة وبأنهم سيصبحوا أطباء ومهندسين، يهتم بملابسهم ونظافتها ويحرص على أن يبدو أطفاله مختلفين وسط أقرانهم.

إلا أن كل شيء تغير فجأة بعد أن رجع يومًا من عمله والإرهاق يبدو عليه ودخل مسرعًا إلى غرفة النوم ليستريح ولكنه للأسف لم يستيقظ ثانية.

وجد ياسين نفسهوهو في الخامسة عشر من عمره مسئولاً عن الأسرة وعلى الرغم من جهود والدته إلا أن المعاش الضئيل ومكسبها البسيط من بيع الجبن والزبد لم يستطيعا أن يوفرا دخلاً يكفي احتياجات الأسرة، مما جعل ياسين ينسى فكرة الدراسة الثانوية ودخول الجامعة ويغير مساره ليكتفي بدبلوم الصنايع ليتنقل بعدها في العديد من الأعمال بدون أن ينجح في الحصول على عمل ثابت يؤمن له دخلاً معقول.

مرت عدة سنوات منذ وفاة والده وأحواله المادية لم تتحسن وبدأت صحة والدته في التدهور ولم تعد تقوى على البيع والشراء، وعلى الرغم من كل الظروف رفض ياسين أن تترك شقيقاته الدراسة وأصر أن يكملن حلم أبيه، وحتى مع ازدياد مصاريفهن إلا أنه لم يكن يفكر في السفر وترك والدته وأخواته، وكان كل ذهنه منصرف إلى ضرورة العثور على عمل مناسب.

ولكن يأبى القدر أن يتركهم وشأنهم، ففي أحد أيام الشتاء ازداد تساقط الأمطار بشكل غير معتاد واشتدت الرياح بصورة كبيرة ليفزعهم صوت مدو من الطابق العلوي لمنزلهم القديم ويجدوا أنفسهم وسط الماء والرياح فقد انهار السقف المتهالك ولم يستطيع الصمود أمام موجات الأمطار المتتابعة.

حاولوا إيقاف الماء المندفع بشتى الطرق ألا أنهم فشلوا فاضطروا للبقاء في إحدى الغرف التي لم تدخلها الأمطار وترك باقي المنزل ليواجه تجمع المياه بمفرده، ومع شروق شمس الغد وتوقف الأمطار ترك ياسين أخواته يحاولن نزح المياه وأحضر أحد العمال ليصلح ما يستطيع إصلاحه من السقف المنهار، دفع ياسين كل ما يملك واستدان من أحد أقاربهم ليستطيع تغطية السقف بألواح من الصاج تمنع تسرب المياه بقدر الإمكان، وما إن انتهى من هذا العمل حتى تكوم في فراشه وبكى كما لم يبك

من قبل فقد كان بيتهم هو الشيء الوحيد الذي يمنحه الشعور بالأمان وقد تبخر هذا الشعور تمامًا في الليلة الماضية.

أخذ يسترجع ليلتها حكايات أهالي القرية عن أبنائهم الذين استطاعوا السفر إلى إيطاليا عن طريق البحر ولم تمض عدة شهور حتى أرسلوا إليهم نقودًا وفيرة مكنتهم من إعادة بناء منازلهم القديمة بل وشراء أراضي جديدة وبنائها لأولادهم.

وبالفعل توجه ياسين في اليوم التالي إلى عم فرج الذي سافر ابنه منذ عام إلى إيطاليا وسأله عن طريقة السفر وأعطاه عم فرج رقم هاتف الأسطى محمد، ولم يكذب ياسين الخبر فاتصل به وكانت الصدمة أنه طلب منه ثلاثين ألفًا من الجنيهات.

تحطمت آمال ياسين أمام هذا المبلغ ورجع إلى بيته شاردًا وسألته والدته عما به فحكى لها عن كل ما حدث، فحاولت أن تثنيه عن هذه الفكرة، واخذت تقول له:

- يا بني خليك وسطنا ...بلاش غربة وبهدلة ... ربنا هيفرجها إن شاء الله... وكمان هنجيب منين الفلوس دي كلها ....

إلا أنه لم يستطع أن يتحرر من هذه الفكرة وظل طوال الوقت يفكر في طريقة للحصول على هذا المبلغ.

أصبح حواره اليومي مع والدته وشقيقاته يدور حول حياتهم التي ستتغير تمامًا إذا استطاع السفر، فسيمكنه إعادة بناء سقف المنزل ثانية أو إعادة بناء المنزل كله، سيشتري لهن ملابس جديدة ويأخذن دروسًا خاصة في أي مواد يردنها، والأكثر أنهن سيتمكن من شراء لوازم الزاوج لكل واحدة فيهن.

أصبح الهدف الأساسي له هو تدبير الأموال اللازمة للسفر، يخرج بعد الفجر يعمل في أي عمل متاح ويرجع متأخرًا عسى أن يتمكن من ادخار أي نقود، وفي مساء أحد الأيام وهو يتناول عشاءه، مدت والدته يدها وأعطته الإسورة الذهبية الوحيدة التي تمتلكها.

- خدها يا بني شوف هتجيب كام ... أهي حاجة تساعد.

أراد أن يرفض ولكن حلم السفر جعله يخفض رأسه ويصمت وهو يمد يده ويلتقطها في هدوء، وما لبثت شقيقاته أن آتين وكل واحدة منهن تمسك في يدها قرطها الذهبي الصغير وبدون أن يتبادلا أي حوار كانت كل واحدة تضع قرطها في يديه وتتركه، أطبق يديه على تلك الحلى الصغيرة وهو لا يعرف ماذا يقول أو يفعل، ظل مطرقًا لبضع دقائق ثم رفع رأسه وهو ينزع الكلمات من بين شفتيه:

- و ربنا لأعوضكم عن كل ده...

وفي اليوم التالي باع تلك الحلى وعاد إلى القرية ليبدأ جولة على الأقارب والمعارف يساعده من يساعده ويقرضه من يقرضه ويكتب إيصالات أمانة لهذا وذاك، وفي نهاية اليوم عاد إلى منزله وجلس ليحصي مقدار ما تحصل عليه من أموال.

لم يتجاوز كل ما معه نصف المبلغ المطلوب، ولم يكن يعرف أي أحد آخر ليطلب منه نقودًا، ظل طول الليل ساهمًا يفكر كيف سيكمل النقود، لم يجد أمامه غير عم فرج فتوجه إليه وطلب منه أن يرجو الأسطى محمد كي يقبل نصف المبلغ فقط، وبالفعل كلمه عم فرج وبعد محاولات حثيثة من كليهما، وافق الأسطى محمد على أن يكتب ياسين على نفسه إيصال أمانة وأن تكتب والدته هي الأخرى إيصال أمانة آخر ليضمن حقه، وافق ياسين على تلك الشروط وبالفعل سافر ليقابل الأسطى محمد وأعطاه النقود وإيصالين الأمانة واتفق معه على ميعاد السفر.

عاود ياسين النظر إلى هاتفه وهو يطرد من رأسه كل هذه الذكريات ولم يكد يرفع رأسه حتى وجد الأسطى محمد أمامه.

صافحه الأسطى محمد في فتور وهو يقول:

- يالا بينا بسرعة، مش عايزين نتأخر ...

تبعه ياسين إلى سيارة نصف نقل جلس على سطحها شباب يماثلونه في العمر وقد استندوا إلى حاجز السيارة ووضع كل منهم حقيبته بين قدميه، جلس بينهم وانطلقت السيارة على الفور.

كانت الساعة تعدت العاشرة مساء وبدأت الطرقات تخلو من المارة، وأخذت السيارة تسير في طرق غير ممهدة الى أن أحس ياسين بهواء البحر المحمل برائحة اليود وبدا صوت الأمواج واضحًا.

توقفت السيارة ونزل الأسطى محمد ليشير إليهم ليتبعوه، نزلوا جميعًا ومشوا على الرمال حتى ظهرت مركب صغيرة أمامهم على متنها أشخاص آخرون.

تعجب ياسين من حجم المركب وقال للشاب الذي كان يسير بجواره:

- هي دي اللي هنسافر بيها إيطاليا.

نظر إليه الشاب وهو يتعجب من سذاجته:

- دي هتودينا لمركب تاني كبير وسط البحر ... فهمت ...

أومأ ياسين برأسه وهو يقول:

- آه شكرًا ... على فكرة أنا ياسين من بني سويف.

obeikandl.com

- وأنا محمود من الفيوم ... إهدا بقى لحد ما نركب.

تراصوا بجوار بعضهم البعض في المركب وجلس الباقي في أرضية المركب الصغير وانتظر المراكبي الجالس بجوار المحرك حتى ركبوا جميعًا ثم أداره وانطلق بهم داخل البحر.

أخذ الهواء البارد يصطدم بوجه ياسين وهو يحدق في الظلام المحيط بهم ونظر إلى السماء، فوجد هلالاً صغيرًا يتوارى أغلب الوقت بين السحب الداكنة، أخذ الخوف يتملك منه شيئًا فشيئًا وهو يتساءل عن كيفية معرفة المراكبي لطريقه وسط هذا البحر المظلم.

نظر ياسين أمامه فوجد نقطة خافتة من الضوء تقترب شيئًا فشيئًا، ومرت عدة دقائق حتى بدأت المركب في تقليل سرعتها إلى أن توقفت بجانب مركب آخر.

نظر ياسين إلى ذلك المركب الذي كان أكبر بالطبع من القارب الصغير الذي يركبونه إلا أنها كانت أصغر بكثير مما تخيل، فقد كانت مركب صيد بسيطة وليست سفينة كبيرة كما كان يظن.

قام المراكبي بجذب حبل تدلى من جانب مركب الصيد ليلتصق مركبه بجانبها وهو يصيح بهم ليبدأوا في التحرك إلى مركب الصيد.

قفز ياسين إلى مركب الصيد ليجد سطحها وقد امتلأ بالبشر وهتف أحد الأشخاص على سطح المركب:

- اللي ما يلاقيش مكان هنا ينزل تحت في التلاجة ..

وجد ياسين محمود إلى جواره فهمس في أذنه بخوف:

- إيه التلاجة دي؟؟

أجابه بنفاد صبر:

- دي مركب صيد، المفروض بيشيلوا السمك اللي بيصطادوه في تلاجة كبيرة بس دلوقتي بيطفوها علشان الناس تقعد جواها.

أراد ياسين أن يسأله كيف يعرف كل هذا إلا أنه آثرالصمت ولمح مساحة صغيرة أسفل جانب المركب بجوار أحد الجالسين فأسرع إليها وحشر جسمه فيها فلم يستطيع تقبل فكرة الجلوس في الثلاجة.

ما أن جلس حتى أخذ يتطلع إلى المسافرين معه، لم يتخيل أن يجد كل هذا العدد على سطح تلك المركب، كان يعتقد أن من يسافر بهذه الطريقة شباب مثله يبحث عن فرصة عمل إلا أنه وجد عالمًا آخر من مختلف الأطياف والجنسيات، منهم مهاجرون بدا من لون بشرتهم أنهم من بلاد إفريقية وآخرون ملامحهم

سورية، ووجد أسرة بأكملها جالسة في أحد الأركان كان الأب يجلس شاردًا بجوار زوجته التي أراحت طفلها على قدميها في حين أسند طفها الاخر رأسه عى كتفها، نظر إلى الناحية الأخرى ليجد أحد المسافرين لا يتجاوز عمره الخامسة عشر وقد جلس واستند الى حقيبته وهو يداري خوفه.

أخذ ينظر حوله في ذهول وهو لا يصدق أن يسافر كل هولاء بتلك الطريقة، هل كلهم هاربون من الفقر مثلي؟؟ أخذ يتساءل وهويدير بصره فيهم مرارًا.

انتزعت حركة المركب ياسين من أفكاره وعاود الهواء البارد الاصطدام بوجهه ثانية، نظر ياسين إلى البحر المظلم وهو يحاول التمسك بأي شيء ليحفظ توازنه، وتذكر المرتين اللتين سافر فيهما مع أسرته إلى الإسكندرية بعد أن فاجأهم أبوه بأنه حجز لهم مصيفًا يتبع المصلحة الحكومية التي يعمل بها.

حين نزل البحر مع والده لأول مرة كان في الثانية عشر من عمره، حاول والده أن يعلمه السباحة فكان يقول له:

- سيب نفسك للموج يا ياسين واعمل عجلة برجلك ..

حاول أن يفعل كما قال له إلا أن الماء تسلل إلى أنفه وفمه فكان يعتدل بسرعة محاولاً لمس الأرض بقدميه وهو يسعل ويقول لوالده:

- ماأنا باعمل زي ما بتقولي بس مافيش فايدة.

- علشان خايف يا ياسين .. افرد إيديك جانبك وسيب نفسك للموج طالما هادي زي النهاردة وحرك رجلك بالراحة.

وبعد عدة محاولات فاشلة قرر أن يكتفي بالبقاء في الماء قريبًا جدًّا من الشاطئ وأن يلهو مع أخواته على الرمال .

ترحم على والده وأغمض عينيه عسى أن يرتاح قليلاً، كان يغفو لعدة دقائق ثم يستيقظ حين تسقط رأسه بجانبه، بدأ يشعر بالبرد فأخرج سترته من الحقيبة وقام بارتدائها وأحكم إغلاقها ليمنحه الدفء غفوة أخرى.

استيقظ إثر اندفاع جسده ليصطدم بشخص جلس أمامه، فاعتدل في مكانه و هو يهمهم بكلمات اعتذار لهذا الشخص ونظر في هاتفه ليجد أنه مرت عليه أربع ساعات في البحر، اندفع مرة أخرى مع ميل المركب على أحد جانبيه ليتشبث بالحاجز الذي يجلس أسفل منه، اصطدمت قطرات من مياه البحر بوجهه مع تصاعد صوت الأمواج وهي ترتطم بالمركب، استيقظ من كان نائمًا إثر تمايل المركب من جهة للأخرى وبدأت المياه تسقط عليهم مع كل حركة للمركب.

تملك الخوف من ياسين وهو يحاول التمسك بأي شيء حوله إلا أنه انزلق من مكانه مع ميل المركب الشديد، تصاعد الصياح من الركاب وهم يصطدمون بعضهم ببعض وانطلقت صرخات وتأوهات من كل مكان، نظر ياسين أمامه ليجد جبلاً من الماء وقد سقط على رأسه وأحس بجسده يطير ليصطدم بهذا الجبل، حمله الموج بكل قسوة وألقاه بعنف وسط الماء، حاول أن يجد أرضًا يقف عليها فلم يجد سوى الماء يتسلل إلى أنفه وفمه، حاول أن يصرخ ويستنجد بأي أحد إلا أنه ابتلع مزيدًا من الماء، مد يديه محاولاً أن يمسك أي شيء يتشبث به فلم يرى حوله سوى أجساد بعيدة عنه تتصارع مثله مع المياه الباردة و قد بدت على بقايا الضوء الخافت للمركب الذي انقلب على جنبه وبدأ طريقه نحو الأعماق.

أخذ يسعل محاولاً إخراج المياه من صدره إلا أنه ابتلع المزيد من المياه، وأخذ إحساس البرودة يتمكن من جسده وبدأت عينيه تعجزان عن الرؤية وخيل إليه أنه يسمع صوت والده وهو يقول له ...

سيب نفسك للموج يا ياسين، فأرخى ذراعيه وترك جسده للبحر.....

لوح زجاج

obeikandl.com

obeikandl.com

نظرت ليلي إلي ساعة الحائط المعلقة أمامها أعلي شاشة التلفزيون وأخذت تراقب اقتراب الوقت من الثامنة مساء ... موعد العودة اليومي لزوجها ممدوح وأخذت تفكر فيما سيحدث في باقي اليوم.

لم تعرف ليلي ماذا حدث لزواجها ولكنه تحول إلي شيء أشبه بلوح الزجاج الذي يحتجز خلفه روحها ويترك صورتها فقط أمام زوجها وأمام الناس ... صورة الزوجة المستقرة في حياتها ولكن للأسف صارت روحها لا تعرف الاستقرار ولا تعرف الراحة...

لقد مرت سنوات عديدة تقترب من العشر سنوات منذ أن ارتبطت بممدوح لا تنكر أنها تعلقت به في البداية حين تقدم لخطبتها بعدما رآها في أحد الأفراح وعرف أن والدتها صديقة لوالدة العروس...

كانت تلك الأيام بالفعل هي أسعد أيام حياتها فممدوح وقتها كان شابًا وسيمًا مستواه المادي والاجتماعي يؤهله لفتح البيت الذي حلمت به كما أنه كان مرحًا ولطيفًا معها استطاع أن يجذب مشاعرها إليه ويعوض الطريقة التقليدية التي تقدم بها إليها ..

وبالفعل تزوجا منذ تسع سنوات بالضبط، وكانت سعيدة في بداية زواجها واكتملت سعادتها بعمر وشهد ولكن تغير كل شئ بداخلها.

لم تعد تحب ممدوح .... أجل هذه هي الحقيقة فقد اختفت كل المشاعر الجميلة تجاه زوجها وتحولت إلي لا مبالاة ... لم تعرف متي بدأت تلك المشاعر السلبية بداخلها ولكنها صارحت نفسها بالحقيقة ... لقد صارت تحيا فقط من أجل أبنائها وليس من أجل نفسها ...لقد أصبحت أمًّا فقط ... وتحول الزواج إلي أفعال باردة خالية من المشاعر ... حاولت كثيرًا أن تهرب من تلك الأفكار بل وأنكرت وجودها ....ولكنها عادت وأذعنت لها فهذه هي الحقيقة.... إنني لم أحب ممدوح يومًا، ولكنه كان زوجًا مناسب أخذ ما يريد مني فأنا الزوجة الجميلة التي يحسده أقرانه عليها وأم طفليه الجميلين وفقط ....لم يستطع يومًا أن يمتلك قلبي ولكن مضت الحياة وستمضي بلا تغيير...

ابتسمت بسخرية وهي تتخيل الحوار اليومي الذي يدور بينه وبينها.....

ما أن يدخل من باب المنزل حتي يلقي بحقيبته ويهتف:

- ليلي عاملة إيه علي الغدا النهاردة ؟؟ أنا خلاص هاموت من الجوع، هغير هدومي عقبال ما تكوني حضرتي الأكل....

هذه هي أول فقرة من فقرات اليوم ... الأكل ... وتعتبر بالنسبة لممدوح أهم فقرة فعلى العكس منها كان الطعام يشكل أهمية قصوى في حياة ممدوح انعكست على ذلك البروز الممتد

أمامه والذي يزداد طولاً وعرضًا كل فترة، على الرغم من محاولات ممدوح في الدفاع عن جسده ضد غزو كرشه ولكن دومًا كان كرشه ينجح في هزيمة كافة الدفاعات التي يتسلح بها ممدوح من رجيم لا يدوم سوى بضعة أيام ثم ينهار أمام وجبة ساخنة .. أو التسلح بالرياضة، والاشتراك في الصالة الرياضية القريبة من منزلهم والتي لا يدوم البقاء فيها سوي نصف ساعة علي الأكثر ثم الهروب مسرعًا إلي المنزل.

كان في أول زواجه يحرص علي أن يتناول الطعام مع ليلي ويؤكد عليها أن تنتظره كي يأكلا سويًّا وشيئًا فشيئًا أصبحت ليلي تتناول الطعام مع طفليها وتستمتع بالجلوس معهما علي المائدة بدلاً من الجلوس مع زوجها الذي أخذ اهتمامه يقل مع الوقت في أن تجلس معه علي نفس المائدة.

وبعد الطعام سيسأل ممدوح السؤال الثاني ...

- أخبار عمر وشهد إيه؟؟ عاملين إيه في المدرسة؟؟

وكأن وجودها وأهميتها في الحياة أن تكون أمًّا لعمر وشهد ... لا تتذكر أنه سألها يومًا عن أخبارها، أو عن ماذا فعلت طوال اليوم، ماذا شاهدت حتى في التلفزيون؟؟

لم يسألها يومًا إن كانت ترغب في العودة إلي عملها الذي تركته من أجل تربية الأولاد أم لا، وكأن كل قرارته أمرًا مسلم به لا يحتمل التفكير مرة ثانية أو الرجوع عنه.

لماذا لا يسألها إن كانت سعيدة في حياتها معه أم لا، هل حقًّا ما زال يحبها كما كان يقول لها في بداية زواجهما.

وبعد هذا تبدأ مرحلة التلفزيون ومشاهدة مباريات كرة القدم وإن اختفت المباريات ظهرت البرامج الحوارية... المهم أن يعلو صوت التلفزيون علي صوت حياتها ومشاعرها.

وخلال هذا الوقت يتبادل حوارًا مقتضبًا مع عمر وشهد عن المدرسة وعن المذاكرة أو يصيح بهما كي يتوقفا عن اللعب لأنه لا يستطيع مشاهدة المبارة بمزاج كما يقول.

كان ممدوح يعتمد عليها تمامًا في تربية الطفلين، وأحيانًا تحس أنه لا يعرف في أي مرحلة دراسية هما الآن بل ولا يهتم أن يعرف ... فما داما بخير ولم يشتكيا من أي مرض فهو لا يبالي بأي شيء يخصهما....

وبعد أن تقترب الساعة من منتصف الليل وبعد أن يتناول العشاء ينطلق إلي السرير ويواصل مشاهدة التلفزيون في غرفة النوم حتي ينام ولا يقطع هذا الروتين سوى أن يكون راغبًا فيها.

فحين يسألها:

- الأولاد ناموا؟؟ إنتي متأكدة يا ليلي إنهم راحوا في النوم؟؟

فهذا السؤال يعني أنه يريد أن يفرغ شهوته وأنه سيتأخر في النوم قليلاً حتي ينتهي من إشباع رغبته معها.

كانت أحيانًا تتهرب منه وتتذرع بأنها لم تنته بعد من أعمال المنزل أو تتلذذ بأن تقول...

- آه ناموا بس نام إنت كمان دي جاتلي النهاردة أو تقول دي لسة ماخلصتش .. في إشارة إلي دورتها الشهرية ..

كانت أحيانًا تكتم شماتتها وهي تري نظرات الحسرة في عينيه بعد أن يكون تهيأ لتلك العلاقة وجاءت كلماتها لتنهي آماله في تلك الليلة.

أصبحت ليلي لا تبالي بعلاقتها الخاصة مع ممدوح فقد تحول الأمر بالنسبة لها إلي حركات روتينية ولكن مشاعرها ظلت حبيسة خلف جدارها الزجاجي ... كفت حتى عن التظاهر بالمتعة كما كانت تفعل كي لا تجرح مشاعره وأصبحت تكتفي بالاستكانة حتي ينهي ما بدأه ويستلقي علي ظهره وقد انتابه الإحساس بالرضا الذي يدفع به إلي النوم العميق لتنهض ليلي من جواره إلي دورة المياه وتترك المياه تنهمر على جسدها وكأنما تريد أن تمحو كل آثاره من علي جسدها ...

انتابت تلك الأفكار ليلي وهي تنتظر عودة ممدوح ... كانت أحيانا تشعر بالذنب تجاه تلك الأفكار والمشاعر، فهي تعلم أن ممدوح يبذل ما في وسعه من أجل بيته وأسرته، كان يتعب في عمله من أجل توفير مصاريف المنزل ومصاريف الدراسة ولا يبخل عليهم بما لديه .. ولكنها لا تستطيع أن تجد روحها معه.

كانت تتمني أن تكتشف يومًا خيانته لها بل أخذت تفتش في أغراضه لعلها تجد أي شيء يوحي بأنه على علاقة بمرأة أخري كي تستطيع أن تجد المبرر لإنهاء حياتها معه ولكنها لم تجد شيئًا كما توقعت ..

حاولت ليلي أن تهرب من تلك الأفكار بالهروب إلي المطبخ وطهو الحلوى التي طلبها منها ابنها، ولكن وجدت دموعها تنساب على وجنتيها لتعلن عجزها أمام حياتها ...

وفجأة سمعت باب المنزل يفتح وممدوح يهتف :

- أنا جيت يا ليلي، عاملة أكل إيه؟؟

لتهرب دموعها من عينيها وتهمس لنفسها ...

توب علينا يا رب .....

●●●

نادية الأخرى

obeikandl.com

obeikandl.com

نظرت نادية في ساعتها لتتأكد أنها لن تتأخر عن موعدها، ورفعت رأسها لتلقي نظرة علي الطريق الذي امتلأ بالسيارات التي تتحرك ببطء معتاد في هذه المنطقة من وسط القاهرة...

تنهدت وأراحت رأسها على زجاج سيارة الأجرة وهي تراجع الأسعار، وبنود العقد المزمع توقيعه اليوم بين الشركة التي تعمل بها وبين أحد العملاء.

رفعت يدها بحركة تلقائية لتعدل من وضع حجابها وكأنما تخشي أن تفر خصلة من شعرها من تحت الإيشارب المحكم علي رأسها؛ لتعيد النظر ثانية في ساعتها ثم تنظر ثانية في الأوراق التي في يدها....

كانت نادية تعمل في هذه الشركة منذ ما يقرب من عشر سنوات وبعد وفاة صاحب الشركة تولت أرملته الإدارة، الأمر الذي أثار خيفة البعض وراهنوا أن الأرملة ستبيع الشركة في أقرب وقت ولن تتحمل هذا الوضع.

لكن المدام – كما يطلقون عليها في الشركة- نجحت في إدارة الشركة وزيادة رأس مالها، بل وأنشئت مصنعًا كبيرًا بدلاً من الاستيراد فقط.

كانت هذه الذكريات دائمًا تطارد فكر نادية، فقد عاصرت تلك الأحداث خاصة عندما قربتها إليها المدام، واتخذتها مديرة لمكتبها واعتمدت عليها في الكثير من الأعمال.

كان تفاني نادية في العمل وحرصها علي أموال الشركة ملحوظًا لدي الجميع، كانت تبقى حتى أوقات متأخرة، تتابع التوريدات بنفسها في المصنع وتراجع المصروفات والمديونيات.

كانت تعليقات صديقاتها أنها تهتم بالعمل أكثر مما ينبغي وأن هذه ليست نقودها أولاً وأخيرًا وأنها لا تنال ما تستحقه من صاحبة العمل ...

كانت تسمع كل هذه التعليقات ولا تهتم، فقد كان العمل بالنسبة لها هو الدوامة التي تجذبها بعيدًا عن أفكارها وتجعلها تنسى قليلاً أنوثتها وأمومتها المؤجلة.

كان العمل هو باب الهروب من كلمة عانس التي أصبحت تطاردها بعدما تخطت الخامسة والثلاثين، كانت ببساطة تعمل لأنها لا تجد شيئًا آخر تفعله في حياتها التي انتظرت أن تصبح كما تخيلتها حياة مع زوج وأولاد فإذا بها تصبح حياة مع والدة وأخ دائم الشجار مع زوجته فيهرب منها إلي بيت والدته.

كان العمل بالنسبة لها الشرنقة التي تأوي إليها لتداوي جروح روحها قبل أن تعود إلي بيتها في المساء، لتجد والدتها تشاهد التلفزيون أو تتحدث مع خالتها وتحكي عن زوجة أخيها التي تنغص عليه حياته وتجعله شبه مقيم لديها .

في بداية عملها كانت الجملة المعتادة لوالدتها وهما يجلسان سويًّا لتناول العشاء:

- يا بنتي وفري تعبك دا لبيتك وجوزك وعيالك.

إلا أنه بمرور الأيام والسنين أصبح الحوار بينهما صامتًا فيما يتعلق بالزوج المنتظر، وبدا أن كلتيهما استسلمتا للأمر الواقع فأصبح كلام الأم عن الزواج دعوات صامتة تحتفظ بها في قلبها حفاظًا علي مشاعر ابنتها التي أصبحت تتفادي النظر إلي عيني والدتها؛ كي لا ترى نظرات تحمل طابع الشفقة والحزن على حالها.

انتفض جسد نادية واندفعت إلي الأمام على أثر ضغط السائق لفرامل السيارة فجاءة، و انطلاق سيل من السباب من السائق لسيارة بجواره كادت أن تصطدم به، توقفت الأفكار عن الاندفاع إلي رأسها، وعادت إلي النظر للطريق وهي تقول للسائق:

- حصل خير يا أسطي.

نظر إليها السائق في المرآة وعيناه تقولان بأنها لن تنفعه إذا اصطدم به أحد، وأنه وحده من يتحمل الخسائر وما لبث أن تحرك وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة.

كانت نادية قد اقتربت من الشركة فجمعت أوراقها، وتهيأت للنزول وهي تقول:

- على جنب لوسمحت.

أخذت نادية تقطع الأمتار الباقية إلي الشركة، وهي تحاول أن تجمع أفكارها وتهيئ نفسها للمفاوضات بينها وبين العميل الجديد.

وما إن دخلت نادية من مدخل العمارة التي تقع فيها الشركة حتى وقفت أمام باب المصعد وكالعادة كان أحد المصعدين معطلاً، فأخذ العدد يتزايد أمام المصعد وأخذت نادية تختلس النظرات إلي الواقفين تحاول أن تستشف أين يتجه كل منهم، ولكن عينيها توقفتا أمام أحدهم، كان أقرب ما يكون إلي رجال الأعمال الشباب كما تراهم علي شاشة السينما وسيمًا رياضيًّا يخفي عينيه خلف نظارة شمسية أنيقة و يحمل حقيبة أوراق جلدية غالية....

حاولت أن تبعد نظراتها عنه إلا أن أناقته ووسامته أجبرا عينيها علي معاودة اختلاس نظرات سريعة، حتى آتى المصعد

ودلفت إليه مسرعة كأنها تحاول الهروب من أفكارها، و ما إن وصلت إلى الطابق الذي تحتل شركتها نصف مساحته حتى دلفت إلى مكتبها مسرعة، وجدت مديحة شريكتها في الغرفة قد وصلت قبلها، التفتت ايها مديحة وبادرتها بالسؤال المعتاد:

- أتاخرتي ليه كدة يا نادية؟؟

- الزحمة العادية يا مديحة ... وكمان التاكسي كان هيعمل حادثة والسواق قعد يتخانق.

- دا العادي يا نادية.

أخذت نادية ترتب أوراقها على المكتب، وأثناء ذلك دخل عم محمود الفراش المكتب ووقف أمامها وهو يقول:

- أستاذة نادية في واحد اسمه الأستاذ أكرم عايز حضرتك.

- آه يا عم محمود خليه يدخل.

نظرت إليها مديحة في تساؤل فقالت نادية:

- دا العميل الجديد ... المدام كانت بلغتني إنه هيجي النهاردة يمضي العقد ويستلم أوامر التوريدات.

جلست نادية على مقعدها، وأخذت تعدل من وضع حجابها وابتسمت حين جال بخاطرها أن الشاب الوسيم الذي كان ينتظر

المصعد ربما كان هو الاستاذ أكرم العميل الجديد ... اتسعت ابتسامتها وخيالها يقفز إلي أبعد من لقاء العميل ... إلا أن طرقات خفيفة على باب الحجرة انتزعتها من أحلامها وتعلقت عيناها بباب الغرفة الذي فتح ليبدو من ورائه رجلاً يشبه أغلب عملاء المكتب بكرش يسبق خطواته ونهجان خفيف يقطع عليه أنفاسه اللاهثة..

ارتسمت ابتسامة على شفتي نادية هي مزيج من خيبة الأمل وسخرية من أحلامها سرعان ما كتمتها وهي ترحب بالعميل الجديد، وانهمكت في مراجعة العقود والذهاب إلى قسم التوريدات والحسابات والعودة إلى مكتبها حتى أنهت كل ما يتعلق بهذا العميل لتجد أن الساعة قاربت على الخامسة من بعد العصر.

استرخت نادية على كرسيها وأغمضت عينيها وهي تحاول تذكر صاحب الوجه الوسيم ثانية وكأنها تخفف عن نفسها عناء اليوم لتنتزعها مديحة من محاولتها وتسألها إذا ما كانت تريد أن تذهبا سويًّا لتناول الغداء.

– آسفة يا مديحة إنتي عارفة إن النهاردة ميعاد درس القرآن وما أقدرش أتأخر..

كان هذا الدرس إحدى وسائل الهروب لدى نادية، وكأنها تشتري صك الغفران وتتبرأ من أفكارها وأحلامها في ذلك الدرس، كانت تدعو بإخلاص مع من يحضرن الدرس وكأنها تتقرب إلى الله بهذا الدرس لكي يحقق لها حلمها فكانت نهاية دعواتها دائمًا أن يرزقها الله بابن الحلال، ولكن مضت عدة شهور ولم يحقق الله هذا الدعاء بعد.

كانت تنصت إلى لمياء وهي تتكلم وتقرأ القرآن وتشرح بعض الأمور الدينية باهتمام وتشعر بكلماتها وكأنها تتغلغل في كل روحها، وبالفعل بدأت في حفظ القرآن وإعطاء بعض النصائح لزميلاتها إلا أنها كانت تشعر أن الهالة الدينية التى أصبحت تستتر بها هي الأخرى زائفة مثل كل ما يحيط بها إلا أنها كانت تطرد هذا الخاطر وتستغفر ربها ...

بالفعل غادرت نادية الشركة وذهبت إلى درسها الديني ومارست كل طقوسها هناك وهي تنظر إلى الحاضرات، كانت أغلب الحاضرات إما مثلها ممن طال انتظارهن لفارس الأحلام، ثم انخفضت الأحلام من فارس الأحلام إلى رجل والسلام، أو المطلقات اللاتي يحاولن الهروب من مشاكلهن وحكايات القضايا والمحاكم وهموم الأولاد ونظرات الطامعين في علاقات سريعة بالتقرب إلى الله.

انتهي الدرس وانتهى معه النهار لتبدأ نادية في رحلة العودة إلى المنزل وبالفعل استقلت التاكسي وهي تحاول ترديد الآيات الواجب عليها حفظها ويتخللها أدعيتها حتى وصلت إلى منزلها لتجد والدتها جالسة أمام التلفزيون ..

- ماما أنا هادخل أنام شوية وبعدين نتعشى.

أغلقت نادية باب غرفتها وارتدت قميص نومها وأخذت تتطلع إلى نفسها في المرآة قليلاً وهي بدون ملابس العمل وحجابها، وكأنها تؤكد لنفسها أن المشكلة ليست في ملامحها، كانت تشعر في تلك اللحظات أنها امرأة أخرى غير تلك التي يراها الناس طول النهار.

اندست تحت أغطية الفراش والتقطت هاتفها المحمول وضغطت على أيقونة خاصة بأحد برامج المحادثات لترى الرسائل الواردة إليها لتفتح إحداها وتنظر إلى صورة صاحب الرسالة وتقرر الرد عليه، و هي تنظر إلي الصورة التي وضعتها لنفسها وهي صورة لفتاة في العشرينات ترتدي من الملابس ما يكشف الكثير من مفاتنها لتكتب إلى الرجل صاحب الرسالة....

- عاجبتك صورتي؟

ليرد عليها وكأنه ينتظر على الهاتف ..

- طبعًا ... مافيش صور تاني؟؟

استمر الحوار بينهما بهذه الطريقة تتخلله كلمات فاضحة وإغراءات ثم تطور إلى محادثة على هاتف آخر لديها لا يعلم رقمه أحد، وظلت هكذا طيلة ساعة كاملة وكأنها تفرغ كل ما لديها تتكلم بلهجة أخرى وبطريقة أخرى مليئة بالتأوهات والضحكات المكتومة بينها وبين هذا الرجل المجهول الذي أنهى المكالمة بعد أن وعدته بلقاء ليتعارفا فيه.

أنهت نادية المكالمة ونظرت إلى الرسائل التي كتبتها وقامت بحذفها من هاتفها، وجعلت رقم هاتف هذا الشخص لا يستطيع الاتصال بها ثانية، وكأنها تمحو تلك الساعة الماضية من ذاكرتها، ثم نهضت وخرجت من غرفتها لتجد والدتها بنفس الوضع واطمانت أنها لم تسمع شيئًا لتقول لها:

- ماما هصلي العشاء الأول وناكل سوا علطول....

●●●

obeikandl.com

الكومبارس

obeikandl.com

obeikandl.com

عاود جرس الباب الرنين مرة أخرى بينما ساد الصمت داخل الشقة، وتكرر صوت الرنين عدة مرات مما دل علي إصرار الرجل الواقف أمام الباب على الحصول على إجابة، ولكنه لم يحصل إلا على التجاهل.

وفي الداخل حبست ناهد أنفاسها وتجمدت يدها وهي تمسك بفنجان قهوتها وهي تدعو أن يرحل هذا الرجل سريعًا، وبالفعل لم يستمر صوت الجرس طويلاً حتى عاود الصمت ثانية ونظرت ناهد إلى أسفل الباب من الداخل لتجد تلك الورقة الصغيرة وقد تركها لها محصل الكهرباء...

التقطت ناهد كعب إيصال الكهرباء الملقى على الأرض لتضعه مع أقرانه في درج صغير مخصص لمثل هذه الأوراق وهي تتحسر على حالها الذي دفعها للاختفاء عن أنظار محصلي الفواتير.

وعلى الرغم من أنها سعت إلي توفير استهلاكها للكهرباء إلا أن المبلغ المطلوب في الفاتورة مع المبالغ السابقة لا تستطيع دفعه بأية حال في ظل الأزمة الحالية .

عاودت ناهد شرب فنجان القهوة الذي تركته وهي تفكر في أحوالها المادية، فلم يعد العمل جيدًا بعد ثورة يناير وقل انتاج الأعمال السينمائية والتلفزيونية إلي حد كبير ولم تعد طلبات العمل إلي سابق عهدها حتي مع مرور عدة أعوام بعد الثورة.

سنين طويلة مضت منذ بدأت العمل في هذا المجال إلا أنها لم تتجاوز مرحلة الكومبارس أبدًا.

من كان يتخيل هذا؟؟

لقد كانت تظن أنها ستصبح نجمة كبيرة مثل قريناتها اللاتي بدأن العمل معها في نفس الوقت، ولكن مرت أعوام عديدة ولم يتغير وضعها فمن مشهد واحد إلي عدة مشاهد، إلا أن حالها لم يتغير وظلت كومبارسًا لا يلاحظ وجودها أحد.

ومع كل رشفة من فنجان قهوتها كانت تستعيد ذكريات قديمة لأشياء فعلتها وأشياء تريد أن تنسى أنها فعلتها في سبيل الوصول إلي النجومية إلا أنها لم تصل إليها أبدًا.

كل ما وصلت إليه هو أبنتها (منى) التي اصبحت تعني كل حياتها على الرغم من ازدياد الهوة بينهما كل يوم، فلم تستطع منى تقبل فكرة أن أمها مجرد كومبارس تقضي أيامًا طويلة في التصوير من أجل أن تظهر في مشهد واحد ولا يلاحظها أحد.

كانت منى هي كل حياتها خصوصًا بعد وفاة زوجها منذ سنوات طويلة، كانت منى في طفولتها تقول لزميلاتها أن أمها ممثلة، ولكن حين كبرت وأصبحت تفهم الفارق بين أن تكون ممثلة معروفة وبين أن تكون كومبارس فلم تعد منى تتكلم عنها وعن مهنتها واكتفت بالقول إنها يتيمة وإنها تحيا مع أمها فقط.

رن جرس هاتف ناهد المحمول فقفزت لتنظر إلى شاشته وحين وجدت اسم (عوني) وكيل الفنانين همست من داخلها ...يا مانت كريم يا رب.

ردت علي عوني سريعًا وهي تقول:

- مساء الخير يا أستاذ عوني ... فيه شغل جديد ولا إيه؟

- أيوه يا ست ناهد ... بدأت تفرج .. فيه بكرة تصوير.

تنهدت ناهد وهي تحسب كم تحتاج لتدفع الفواتير المتأخرة وتعطي منى نقودًا لتستطيع شراء ما تحتاجه من ملابس جديدة للجامعة مع بداية الشتاء لتسأل عوني:

- كام يوم تصوير يا عوني؟

- مش أقل من تلت أيام يا ست ناهد.

- وهيدفعوا كام في اليوم؟

- تلتميت جنيه.

انهارت أحلام ناهد بعد أن سمعت هذا الرقم الذي لا يقترب من نصف ما كانت تتقاضاه من قبل.

- قليل قوي يا عوني.

obeikandl.com

- يا ست ناهد إنتي عارفة الظروف إحنا ماصدقنا يبقي فيه شغل، أنا آخر مرة كلمتك كانت من مدة طويلة.

- والدور إيه يا عوني؟ هيحتاج لبس معين أجيبه معايا؟

- صاحبة كباريه وإنتي أدرى بطريقة اللبس يا ست ناهد.

صمتت ناهد هذه المرة ... كانت قد قررت أنها لن تقوم بأي دور تضطر فيه إلي ارتداء ملابس غير ملائمة؛ لكي لا تشاهدها ابنتها بهذه الصورة خصوصًا بعد إصرار منى على أن ترتدي الحجاب.

- مافيش غير الدور دا يا عوني؟ مانت عارف إني بطلت البس اللبس بتاع الأدوار دي.

- والله يا ست ناهد أنا اول ما طلبوا مني واحدة للدور دا إنتي أول واحدة أكلمها .. أنا عارف الظروف وإنتي لسة مكلماني تسألي على شغل ... إبقي ظبطي اللبس على قد ما تقدري.

أخذت ناهد تفكر في رد فعل منى حين تشاهدها وهمت بالرفض إلا أن منظر الفواتير المتراكمة جعلها تقول:

- ماشي يا عوني بس خليهم يزودوا الفلوس.

– حاضر يا ست ناهد هاحاول أوصلهم خمسمية في اليوم.... هنتجمع في المكان بتاعنا المعتاد والأتوبيس هيجي على الساعة سبعة الصبح ... سلام.

وضعت ناهد الهاتف وتذكرت أنها لم تسأل عن المخرج وأبطال العمل، ثم قالت لنفسها هتفرق إيه ؟؟ ..... إنها بحاجة لأي نقود وستعمل مع أي أحد، وستحاول أن تتجنب الجميع حتى تمر فترة التصوير وتقبض نقودها، ومن يدري .. أحيانًا كثيرة يمتد التصوير لأيام أخري مما يعني زيادة في النقود.

كانت ذكرى آخر عمل قامت به مازالت تؤلمها حين زلت قدمها فمدت يديها لاإراديًّا كي تتشبث بإحدى بطلات الفيلم التي كانت تقف بجوارها أثناء التصوير مما أدي إلي فقدانها اتزانها وسقوطهما معًا، وعلى الرغم من كم الاعتذارات التي قالتها ناهد لها إلا أنها انهالت عليها بالسباب وبألفاظ لا تستطيع نسيانها حتى الآن، حتى أنها آثارت شفقة جميع الموجودين في مكان التصوير وعلى الرغم من اضطرار المخرج إلي إعادة تصوير المشهد إلا أنه لم يوجه لها أي لوم بعد ما سمعه من الممثلة المشهورة التي أصرت على أن تترك ناهد مكان التصوي، وأن يتم استبدالها بأي كومبارس أخرى.

أخذت دموع ناهد في الانحدار على خديها وهي تستعيد أحداث ذلك اليوم ولكنها لم تلبث أن مسحت دموعها وهي تقوم من مكانها وتتجه إلى غرفتها لتعد ملابسها استعداداً للغد، وحاولت أن ترتب الكلمات التي ستقولها لابنتها حين تشاهدها في هذا الدور، وما لبثت أن همست ... ربنا يتوب علينا...

●●●

obeikandl.com

منی

obeikandl.com

obeikandl.com

- حسن و منى اتطلقوا.

كانت هذه العبارة هي أول جملة يقولها لي محمود عندما رددت علي مكالمته وبالفعل فقد نجح في إثارة ذهولي، فقد كان الجميع يعلم مقدار الحب الذي يجمع بين حسن ومنى، فقد كانا الثنائي الذي لا يفترق إلا نادرًا ومنذ أيام الكلية وهما مثال على التفاهم والحب.... بل إن فرحهما كان بمثابة انتصار للحب بعد كل الجهود التي بذلها حسن للحصول على موافقة أهل منى ونجاح منى في إقناع أهلها بأن يقبلوا بحسن رغم الفارق المادي بين عائلتها وعائلة حسن المتوسطة ماديًّا، بل إنها تعتبر انتزعت موافقتهم انتزاعًا على شقة حسن الصغيرة في إحدى المدن الجديدة التي حجزها له والده منذ سنوات بعيدة رغم المعارضة الشديدة خاصة من والدة منى التي وجدت أن ابنتها ستبتعد عنها، وحاولت أن تجعلها ترى الفارق بين حياتها المقبلة وحياة أختها المتزوجة وتحيا في شقة فاخرة في إحدى المناطق الراقية، إلا أن كل جهودها فشلت أمام تصميم منى القوي على حسن.

لقد كنت أنا ومحمود أقرب أصدقاء حسن بل إن حياته كانت موزعة بين منى وبيننا، وكم ضمتنا سيارتي الصغيرة ونحن ننقل بعض الأشياء لشقة حسن ونساعده في تشطيبها وتجهيزها.

منذ أن تخرج حسن وهو يعمل بلا كلل من أجل إتمام الزفاف وشراء الأثاث وفرش الشقة، وكان مجرد وجودهما معًا وهما يشرفان على العمال وينقلان أثاثهما البسيط سويًّا يدفعك إلى الابتسام والفرح لأجلهما.

وبعد أن تزوجا أبتعد حسن عنا بالطبع وصار وقته موزعًا بين عمله الذي يحتل نصيب الأسد من حياته وبين منى التي يحاول أن يوفر لها الحد الأدنى من الحياة التي كانت تحياها قبل الزواج، وحين يستطيع حسن أن يخطف دقائق ليلتقي بي أو بمحمود كان إرهاقه واضحًا لنا وكان يقول إن عليه أقساطًا كثيرة لابد وأن يسددها.

وحين أعرض عليه أي مساعدة مالية كان يرفض ويقول:

- أنا ناقص ديون يا أحمد كفاية اللي أنا فيه .

حاولت أقنعه أن أحوالي المادية أفضل بكثير بعد تسلمي ميراثي وأنني أعمل الان في شركة دولية بمرتب جيد للغاية، وأنه يستطيع أن يرد هذا المال وقتما يريد إلا أن كرامته كانت تأبى دائمًا أن يوافق علي أن ياخذ أي أموال..

كنت استعد للخروج في يوم عطلتي الأسبوعية عندما رن هاتفي ووجدت حسن هو المتصل ..

- أهـلا يـا حسـن .. أنـت مختفـي بقالـك فتـرة ليـه كـدة ؟؟ الجـواز خـدك مننـا خالـص ..

أخذ يتحدث معي ثم طلب مني أن أقوم بتوصيل أحد الأجهزة المنزلية لمنزله، فهو لا يستطيع مغادرة العمل الآن والشركة ستغلق للجرد السنوي وتريده أن يستلم الجهاز الآن ومنى سيارتها معطلة فلم يجد أمامه إلا أن يطلب مني أن استلمه وأقوم بتوصيل الجهاز إلى منزله.

أعتذر حسن كثيرًا لي، ولكني عنفته وقلت إننا أصدقاء وإن لم يطلب مني هذا الطلب البسيط فمن غيري سسيسعده أن يلبي له طلبه.....

- معلش يا أحمد ... أنا عارف إنك النهاردة أجازة بس دا العشم.

- يا راجل ماتقولش كده.

أنهيت المكالمة بعدما أخذت عنوان الشركة وتفاصيل الاستلام وبالفعل استلمت الجهاز وتوجهت إلي منزل حسن.

فتحت منى الباب وأنا ابتسم وأقول لها:

- خدمة العملاء يا فندم، اتفضلي توصيل لحد البيت.

شكرتني منى وهي تدعوني للدخول، وبالفعل دخلت وأنا ألهث من وزن الجها، وما أن وضعته على الأرض ورفعت عيني إليها حتى هالني منظرها، فقد كانت شاحبة واختفت ابتسامتها وإن كانت كما هي دائمًا رائعة الجمال.

- مالك يا منى؟؟ إنتي كويسة؟؟ شكلك تعبان ...

- أنا كويسة الحمد لله ...تعبانة شوية يا أحمد.

- يا منى إحنا صحاب برضه ممكن تتكلمي معايا لو عايزة، أنا عارف إن حسن مشغول في الشغل علطول وإنتي لوحدك أغلب الوقت ... أنا عارف إنه مش قادر يعملك اللي إنتي عايزاه، وإنك مستحملة كتير، أنا نفسي أساعده و أساعدك بس مش عارف أعمل إيه؟؟

صمتت منى وأحسست أنها تنوي أن تنفي كل كلامي وتؤكد أنها بخير إلا أنني فوجئت بها تقول:

- أنا تعبت صراحة يا أحمد أنا لوحدي علطول مش عارفة اتكلم مع حد أو اشتكي لحد، أي حد هتكلم معاه هيقولي إنتي اللي اخترتي ولازم تستحملي نتيجة اختيارك، أنت عارف انا قد أيه بحب حسن بس اللي أنا فيه دا مش حياة، حسن بيرجع نص الليل مش قادر يفتح عينيه أو يتكلم حتى ولازم يصحى بدري علشان يلحق يروح شغله، أنا حاسة أني متجوزة شبح أو طيف

باشوفه كل فين وفين، حتى الوقت اللي بنتكلم فيه بالاقيه شايل الهم وسرحان مابقاش يضحك ولا بيهرج زي زمان، أنا حارمة نفسي من حاجات كتير علشانه بس وبعدين، أنا مش عارفة أخرتها إيه..

كان واضحًا أنها انفجرت، كانت تكتم بداخلها الكثير ولكن يبدو أنها وجدت متنفسًا أخيرًا، بدأت دموع صامتة تنسال على وجنتيها مما حطم مقاومتي أمامها تمامًا، وبدلاً من أن أقول كلمات الترضية المألوفة، أو أطلب منها أن تصبر حتى تتحسن أحوال حسن، وجدت نفسي أنظر في عينيها مباشرة وأقول لها ..

- معلش يا منى إنتي اللي عملتي في نفسك كده، أنا عارف إنك بتحبي حسن بس إنتي ماتستهليش الحياة دي، هو شغال طول النهار والليل وسايبك لوحدك ورافض أي مساعدة من أهلك ومن أي حد ودا على حسابك إنتي، إيه الشقة اللي إنتي عايشة فيها دي بقى بعد ما كنتي عايشة في مصر الجديدة تترمي هنا في آخر الدنيا في شقة زي دي وبالعفش الأي كلام ده، دا منظر واحدة سعيدة يا منى....!!!!

نظرت إلي منى في ذهول ولكنها ظلت صامتة وكأنها كانت تردد هذه الأفكار بينها وبين نفسها وأتت كلماتي لتضعها في مواجهة مع نفسها وتزيد جراحها...

وجدت نفسي أمسك يدها واندفعت مني الكلمات التي حرصت دائمًا أن أكتمها بداخلي ...

- إنتي ماتستهاليش الحياة دي يا منى، إنتي تستاهلي واحد يعيشك أحسن من كده، إنتي تستاهلي واحد يحبك بجد، واحد تعيشي معاه ملكة، أنا طول عمري باحسد حسن على حبك ليه، طول عمري نفسي أكون مكانه وطول مانا واقف في فرحكم وأنا باتخيل نفسى واقف جنبك وبرقص معاكي، أنا بحبك يا منى، نفسي أقولها بس حبك لحسن كان مانعني، بس أنا مش قادر أشوفك بالوضع ده وأسكت تاني، أنا بحبك.....

اتسعت عينا منى في ذهول وبدا وكأنها تجمدت مكانها غير قادرة على استيعاب ما سمعته، ولكني لم أستطع أن أتمالك نفسي فجذبتها إلي وأطبقت بشفتي على شفتيها، كانت شفتيها ساكنة بلا حياة ثم فوجئت أنهما تتحركان وتطبقان علي شفتي، كانتا ظمآنتان إلي شفاه أخرى فاجتاحتني اللذة وأخذت أقبلها مرات عديدة وأحتضنها بكل قوة وهي تحيطني بذراعيها وتغمض عينيها، تسللت يداي تحت ملابسها ولم أصدق أنني أخيرًا ألمس جسدها، ولكنها فجأة دفعتني بعيدًا..... حاولت أن أضمها إلي ثانية إلا أن دموعها انسالت على وجهها وهي تقول بصوت مكتوم:

- اخرج بره.

- منى....

- اخرج برة.

تركتها وأنا ألعن ضعفي ثم أرسلت لها رسالة وأخبرتها أنني آسف جدًّا على ما حدث وأنني لا أعرف كيف حدث هذا وأنها لن تراني ثانية، ورجوتها أن تسامحني وأن تنسى ما حدث بيننا.

مر أسبوعين بعدها وفي كل ساعة أتوقع أن يقتحم علي حسن الشركة التي أعمل بها أو يقتحم منزلي وينهال علي ضربًا إلا أنه لم يحدث شئ، بل وبالعكس كان يحاول أن يحدثني في الهاتف عدة مرات، تجنبت أن أرد عليه ثم دفعني الفضول أن أكلمه فوجدته كان يريد أن يشكرني على توصيل الجهاز لمنى فتأكدت أنها لم تخبره بشئ مما حدث.

كنت معذبًا بين رغبتي في منى التي انطلقت من عقالها وبين إحساسي بالذنب تجاه حسن، ابتعدت عنه وتجاهلت مكالماته بعدها، وابتعدت حتى عن محمود وكأنني لا أرغب في سماع أي شيء عنهما تمامًا، حتى وجدت نفسي أرد عليه اليوم ليخبرني بما حدث بين حسن ومنى.

- أحمد .... أحمد ..

أخذ محمود يهتف باسمي حتى انتبهت أنه مازال على الهاتف....

- إيه يا محمود؟

- إنت ما بتردش ليه، إحنا لازم نروح لحسن ونشوف إيه اللي حصل ونصالحهم على بعض.

لم أرد على محمود بل وأغلقت الخط بدون أن اتكلم وأنا أفكر أنني بالتأكيد السبب في ما حدث وأن مني لم تتقبل أنها ضعفت واستسلمت لي حتى ولو لبضعة ثواني.

تملكني إحساس رهيب بالذنب، ثم تولد إحساس جديد ورغبة جديدة فقد صارت مني الآن مطلقة وأستطيع أن أحاول معها من جديد، ربما سترفضني في البداية ولكني سأحاول ثانية وثالثة، بالتأكيد سأخسر حسن ومحمود للأبد، ولكن مازال مذاق شفتي مني عالقًا بشفتي وملمس جسدها الناعم لا يفارق يدي، أغلقت عيني وأخذت استرجع تلك اللحظات التي جمعتني بها فتملكت صورتها من عقلي تمامًا وأخذت أفكر كيف أتحدث إليها من جديد.....

●●●

هذه الليلة

obeikandl.com

obeikandl.com

ارتجفت يدا علوي وبدا وكأنه يتشبث بمقود سيارته كي يمنع ذلك الدوار الذي تصاعد الى رأسه من السيطرة عليه بالكامل وبدأ يشعر باضطراب في ضربات قلبه وهو يرى ابنته رنا وهي تغادر منزل صديقتها وقد غيرت ملابسها التي كانت ترتديها عندما نزلت من منزل والديها قبل ساعتين من الآن..

كانت برفقة اثنتين من صديقاتها وقد ارتدين ملابس قصيرة للغاية لا تتناسب مع ملابس ابنته كما اعتاد أن يراها ووضعن مكياجًا غريبًا يميل إلي السواد وبدت رنا وكأنها فتاة أخرى غير ابنته حتى أنه أخذ يتساءل إن كانت حقًّا هي أم لا.

انتظر حتي ركبت رنا في سيارة صديقتها وانطلق خلفهم بسيارته وهو يجاهد محاولاً الحفاظ على ثبات سيارته والحفاظ علي انتظام ضربات قلبه الذي أخذ يدخل في نوبات من التسارع وعدم الانتظام، وما لبثت السيارة أن توقفت أمام أحد الفنادق الصغيرة لتزل ابنته وصديقاتها ويتركن السيارة لأحد العاملين بالفندق الذي دلت طريقة تحيته وتعامله معهن علي سابق معرفته بهن.

لم يكن علوي يصدق زوجته عندما تحدثت معه حول رنا وكيف أنها تشعر بتغير في حياتها، ساعتها قال إن هذا تغيير طبيعي بعد التحاقها بتلك الجامعة الخاصة، وأنها في مرحلة مختلفة من عمرها ولكن لا داعي للقلق (فرنا متربية أحسن تربية) علي حد قوله.

ولكن زوجته عادت ثانية وثالثة تخبره بأن قلبها غير مطمئن لأحوال أبنتها، وأن هناك شيئًا غريبًا يحدث لها فلم تكن معتادة علي الكتمان والأحاديث السرية بين ابنتها وصديقاتها بل كانت دائمًا تفخر بأنها صديقة ابنتها، وأن رنا لا تستطيع أن تفعل شيئًا بدون علمها .

- يا علوي أنت طول عمرك بترجع متأخر وأنا اللي عايشة مع الولاد .... أنا قلبي حاسس إن في حاجة ... أنا مش مطمنة، ومش هاستني لما بنتي تضيع.

- إنتي اتكلمتي معاها يا ليلي طيب.

- كتير يا علوي وبتتحجج باختلاف طريقة المذاكرة وبأنها بتاخد دروس مع صاحبتها وبتتأخر عندهم... بس أنا مش مصدقة... في حاجة... اتصرف....

انتقل القلق إلي علوي وبالفعل أخذ يتحدث مع رنا عن أحوال الدراسة، وإن كانت بحاجة إلي شئ إلا إنها أنهت الحوار بسرعة بحجة أنها تأخرت على الدرس وتركته ونزلت مسرعة.

لم يشعر علوي بنفسه إلا وهو ينزل خلفها ويعتذر عن الذهاب إلي مكتبه هذا المساء ويقرر أن يتبع أبنته.

أحس علوي براحة حينما وجدها تذهب إلي العنوان التي أخبرته أنها ستذهب إليه وقرر أن يجلس في سيارته قليلا ليفكر في طريقة ليصعد إلي ابنته في شقة صديقتها التي سيأخذن فيها الدرس كما أخبرته، ولكن لم يطل به الانتظار حتى وجدها تنزل ثانية بهذه الصورة والملابس ....

أخذ الدوار يتصاعد ثانية إلي رأسه وهم بالنزول وجذب ابنته من بين صديقاتها إلا أنه قرر الانتظار لمعرفة أين سينتهي المطاف بها.

ترك علوي سيارته لعامل الباركينج ودخل الفندق ليجد أحد العاملين يسأله:

- أي خدمة يا فندم؟

احتار علوي قليلاً ثم قال:

- المطعم لو سمحت.

أشار العامل بيده وهو يقول باحترام:

- اتفضل من هنا حضرتك... علي اليمين.

تردد علوي قليلا ثم اتجه إلي المطعم ليجد قاعة أخري علي يساره تتصاعد الأدخنة من مدخلها وتعلو أصوات الموسيقى

الصاخبة من داخلها رغم الجدران العازلة للصوت التي لم تنجح في عزل تلك الأصوات تمامًا.

فتح أحد العاملين باب قاعة المطعم لعلوي الذي هم بالدخول ونظر إلي المطعم بحثا عن ابنته، ولكن لم يراها فتراجع خطوة وبدا وكأنه تذكرشيئًا فاتجه إلي العامل وسأله:

- هو في ديسكو في الفندق؟

- طبعًا يا فندم.

- وفي بار جوا طبعًا.

-آه يا فندم.

تراجع علوي واتجه إلي مدخل الديسكو، ولكن العامل اتجه إليه وهو يقول:

- حضرتك الدخول كابيلز بس... أنا آسف جدًّا.

تصنع علوي الغضب وهتف بالعامل:

- كابيلز إيه ... إنت فاكرني عيل ولا إيه.

تراجع العامل بطريقة معتادة أمام ثورة الزبائن وهو يقول:

obeikandl.com

- آسف يا فندم ... اتفضل حضرتك .... أنا قصدي أن الجو جوا دوشة وشبابي ممكن مايعجبش حضرتك...

- هوا كاس وهارجع المطعم تاني.

تقدم علوي ناحية الباب وهو لا يصدق ما يفعله وأخذ يدعو من أعماقه ألا يجد ابنته بالداخل وأن تكون جالسة مع صديقاتها في إحدى قاعات الطعام الأخري ...

ما أن دخل القاعة حتى صدمته الموسيقى الصاخبة والأدخنة والأضواء المتقلبة على وجهه، وأخذ يفكر أنه لم يدخل مثل هذا المكان طيلة عمره فإذا به الآن يدخله بل ومن أجل البحث عن ابنته، كان البار واضحًا أمام عينيه كصرح يجثو أمامه العبيد من أأأأأجل إراقة النبيذ طلبًا للغفران أو النسيان أو أي شيء آخر.

جلس علوي على أحد الكراسي العالية ، وانضم إلي الجالسين أمام هيكلهم، لم يعرف ماذا يفعل أمام بعض النظرات التي أدركت أن هذا الرجل لا ينتمي إلى هذا المكان.

أخذ يحاول أن يخترق بعينيه الزحام والأدخنة التي تحجب الرؤية عنه علّه يرى رنا أو إحدى صديقاتها، ولكن نظراته اصطدمت بأجساد تتحرك هنا وهناك بعضها يتراقص في عنف وبعضها يكتفي بالتمايل وبعضها يكتفي بالوقوف ومشاهدة الراقصين.

أحس علوي بغرابة ما يراه وكأنه يشاهد أحد الأفلام التجارية التي تعتمد علي الرقص والغناء في الملاهي الليلية، كانت أغلب الفتيات يرتدين ملابس تكشف الكثير والكثير وأخذن يضحكن ويرقصن مع رفاقهم...

قفز إلي ذهنه السؤال التقليدي فين أهل الولاد والبنات دول؟؟؟) ولكنه ما أن فكر في هذا السؤال حتى اندفعت إلي شفتيه ضحكة ساخرة لم يستطيع أن يكتمها.

أهل مين يا علوي مانت زيك زيهم ولا دريان بحاجة.

نهض من مكانه ليخترق تلك الأجساد علّه يجد رنا أو لا يجدها ليرحل سريعًا من هذا المكان...

بدأ يتحرك وينظرحوله وفجأة أحس بأنه يتهاوى في مكانه فقد كانت هناك حقًّا..... أخذ يحدق بعينيه علها لا تكون هي إلا أن ارتجافة قلبه وإحساسه أنه سيتوقف عن الخفقان أكد له أنها أبنته..

كانت ترقص مع صديقاتها ومعهم ثلاث شباب آخرين يشاركونهم الرقص وفي يدها إحدي زجاجات البيرة التي ترفعها بين الحين والآخر إلى شفتيها.

هم علوي بالتوجه إليها وهو لا يكاد يتمالك خطواته... هل يصرخ فيها أم يصفعها علي وجهها الذي طالما احتواه بين يديه أم يجذبها من يديها وينتزعها من هذا المكان... تدافعت تلك الأفكار في رأسه مع كل خطوة يخطوها تجاه رنا ومع أن المسافة بينهما كانت لا تتجاوز عدة أمتار إلا أنها بدت وكأنها أميال طويلة يجر فيها قدميه جرًّا.

كانت الالوان تتساقط على وجه رنا وهي مستغرقة تمامًا في رقصتها مع هذا الشاب ذى الملامح الغريبة الذي بدا وكأنه مسيطر تمامًا عليها يحركها كيفما شاء يقترب منها فتلتصق به ويبتعد عنها فتقترب منه.... ومع كل لون من ألوان الإضاءة كانت ملامحها تتغير أمام وجه علوي.

كانت الصورة تتبدل أمامه حيث حل محل وجهها الآن وجه الطفلة الصغيرة الذي ناولته إياه الممرضة في المستشفى عقب ولادتها مباشرة... تذكر كيف تناولها في حذر وضمها إليه فقد كانت أول فرحته، مازال يذكر كيف كانت تحاول أن تفتح عينيها الصغيرتين وتحرك يديها وكأنها تبحث عنه... إنه يذكر كيف تناولها وأذن في أذنيها كما أوصته والدته كي يبعد عنها الشيطان، ترى هل أخطأ في كلمات الاذان ساعتها حتى يقترب منها الشيطان الآن....

مع تغير لون الضوء تذكر وجهها وهي في الرابعة من عمرها حينما اشتدت عليها إحدي نوبات البرد وتحولت إلي التهاب رئوي حاد استدعى دخولها المستشفي، كان وجهها يزداد شحوبًا مع ازدياد شدة المرض ومع كل نوبة سعال كان يشعر بقلبه يتمزق من شدة ألمه، كان يسهر بجوارها في المستشفي ويظل مستيقظًا طوال الليل يراقب أنفاسها وهي نائمة ويحرص على تذكير الممرضة بمواعيد الدواء، يمسك كفها الصغيرة بين يديه حتى تنام ويحكم الغطاء فوقها ويظل يتطلع طوال الليل إليها ويدعو الله أن يشفيها...

ثم تذكر وجهها وهي في عيد ميلادها الثامن حين فاجأها بهدية ثمينة كانت تتمنى الحصول عليها، ونهرتها أمها حين طلبتها لغلو ثمنها إلا أنه أصر أن يحضرها لها، ساعتها قفزت وتعلقت بوجهه وأخذت تقبله بفرحة طاغية واحتضنته مدة طويلة وهي تهمس له بأنها تحبه أكثر من والدتها....

يومها نبهته زوجته وقالت له (أنت بتدلعها زيادة عن اللزوم يا علوي) يبدو أنها كانت محقة ربما أنا من دللتها أكثر من اللازم، تري لو أنني لم أحضر لها ما كانت تتمناه فلربما ما كانت وصلت إلي هنا....

كانت هناك علاقة خاصة تربط بينه وبين ابنته فدائمًا ما كان يقول إنها وش السعد عليه ويحرص علي الاتصال بها ليطمئن عليها بعد العودة من المدرسة ويسمع صوتها ويسألها إن كانت ترغب في أي شيء ليحضره لها عند عودته إلي المنزل ليلاً....

مع كل ومضة من الضوء تقع على وجه ابنته كان علوي يتذكر وجه آخر مازال يحتفظ به في ذاكرته ويحاول أن يقارن بينه وبين هذا الوجه الذي يراه أمامه...

اقترب أكثر من رنا وهو يزيح عن طريقه تلك الأجساد المتزاحمة ليقترب منها وهي مستمرة في رقصها وفجأة وقف أمامها، رفعت رنا عينيها وهي تهم بدفع هذا الجسد اللي اعترض طريقها وقطع عليها حركاتها الراقصة لتصطدم عينيها بعيني علوي الذي تجمد مكانه وفشل في عمل أي من الأفكار التي راودته من قبل فلم يصرخ في وجهها أو يصفعها أو يجذبها من ذراعها ، ولكن اكتفي بالوقوف والنظر في عينيها وكأنه يبحث عن نظرات ابنته البريئة التي اعتاد عليها والتي اختفت بتأثير الشراب والرقص وما خفي عنه.

سقطت زجاجة البيرة من يد رنا وخفضت رأسها قليلاً وكأنها تنتظر ما سيفعله والدها....

مـرت عـدة ثوانـي علـى هـذا الوضـع وكأن كل منهمـا ينتظـر مـا سـيفعله الآخـر حتـى انتـزع علـوي نفسـه، وأخـذ يتحـرك بـكل جمـود ويتجـه خـارج المـكان بخطـوات ثقيلـة وكأنـه يـزداد عجـزًا مـع كل خطوة يخطوهـا .....

●●●

obeikandl.com

ربنا يتوب علينا

obeikandl.com

obeikandl.com

أخذت زينب تسوي من حجابها أمام المرآة لتترك بضع خصلات من شعرها متسللة من تحت الحجاب لتعلن عن لون شعرها المصبوغ الجديد وتأكدت من زينتها جيداً، وبعد أن اطمأنت علي شكلها وضعت تليفونها المحمول في حقيبتها وخرجت من غرفتها التي تشترك فيها مع أختيها الأصغر منها لتنطلق سريعًا ناحية باب الشقة قبل أن يلحظها والدها ويعلق علي ملابسها أو شكلها وهتفت:

- أنا نازلة يا ماما ...هتأخر النهاردة شوية ... الدور عليا في تقفيل المحل.

- بالسلامة يا زنيب تخلصي وتيجي علطول.

- حاضر يا ماما.

اغلقت زينب الباب خلفها بسرعة ونزلت علي سلالم المنزل القديمة لتخرج وسط الشارع الضيق الذي يقطنون فيه في تلك المنطقة الشعبية وتمضي بخطواتها السريعة لتخرج إلي الشارع الرئيسي حيث ينتظرها وليد ....

ابتعدت زينب عن منطقتها قدر الإمكان لتجد وليد ينتظر في السيارة الميكروباص التي يعمل عليها في المكان الذي اعتاد أن ينتظرها فيه.

ما إن ركبت زينب بجواره حتي أغلق زجاج السيارة، وانطلق سريعًا حتي يهرب من إشارات أيدي المارة الذين يستفسرون عن وجهته.

لم تلبث يد وليد أن أحاطت كف زينب التي أخذت تتطلع إليه في اشتياق وهمست:

- وحشتني يا وليد.

- وإنتي كمان يا زينب ...اتأخرتي ليه؟؟ أنا كده هتأخر علي ميعاد الوردية.

- معلش اتأخر علشان خاطري شوية ... وكمان إنت اللي مش عايز تيجي وتتقدم ليا.

- اصبري يا زينب لحد ما اجمع قرشين .... إنتي عارفة لو كان الميكروباص دا بتاعي كان زمانا متجوزين، بس هاعمل إيه أديني بجمع القرش علشان ربنا يكرمني وأجيب عربية ليا بدل ما كل تعبي رايح لصاحب العربية.

- أنا صابرة يا وليد بس وبعدين هنفضل كده أنا تعبت من الشغل في المحل ونفسي يبقالي بيت وأبقي معاك.

- شوية كمان معلش علشان خاطري.

obeikandl.com

زادت من ضم أصابعها لأصابعه، وكأنها تعلن موافقتها على طلباته مما جعل وليد هو الآخر يضم كفها بكل قوة.

قاد وليد السيارة الى أحدى المناطق البعيدة الهادئة ليقف بها في مكان متوار عن الانظار ثم التفت إلي زينب وجذبها إليه وهو يقول:

- إيه الجمال دا يا زينب إنتي عماله تحلوي قوي.

اطبق شفتيه علي شفتيها وهو يضمها إليه وانطلقت يديه تستبيح جسدها كيفما شاء.

ظلا علي هذا الوضع بضع دقائق حتي هتفت زينب:

- كفاية يا وليد أنا مش قادرة وكمان لحسن حد يشوفنا.

- مش قادر أسيبك يا زينب بس علشان خاطرك.

- مسيرنا نبقي لبعض يا وليد وأمتعك بجد مش الحاجات الخطف دي.

انطلق وليد بالسيارة ثانية ليتجه إلي المحل الذي تعمل به زينب لتنزل من السيارة بالقرب منه، وما أن أعطته ظهرها حتى همس وليد لنفسه .. جواز إيه!! ...إنتي هتصدقي نفسك ولا إيه؟؟

obeikandi.com

أخذت زينب تسوي من ملابسها لتمحو آثار أيدي وليد، ولم تكد تخطو داخل المحل، حتي هتفت إحدي زميلاتها:

- اتأخرتي ليه يا زينب أستاذ حمدي سأل عليكي.

- في إيه دا هيا نص ساعة مش مستهلة أسئلة.

ظهر حمدي صاحب محل الملابس التي تعمل فيه زينب هي وثلاث فتيات أخريات ولم ينتظر أن تبدأ بالكلام حتى صاح فيها:

- اتأخرتي ليه يا زينب هو كل يوم تأخير بالشكل دا؟

- معلش يا أستاذ حمدي إنت عارف المواصلات بقت زحمة إزاي.

- ماشي يا زينب بس ابقي اعملي حساب المواصلات بعد كده.

التفت الى باقي الفتيات وهو يسأل:

- هو الدور علي مين في تقفيل المحل النهاردة؟؟

اختلست إحدي الفتيات نظرة خبيثة مع زميلتها وهي تقول:

- النهاردة الدور علي زينب يا أستاذ حمدي.

نظر حمدي إلي زينب وهو يقول:

- ماشي ماشي .. يالا حد يروح يشوف الزبونة اللي دخلت بسرعة.

obeikandl.com

أخذ الوقت يمضي علي زينب وهي تتعامل مع السيدات اللاتي يدخلن المحل، وتحاول بيع الملابس لهن لتجميع أكبر قدر من البقشيش حتي أتت الساعة العاشرة مساء وهدأت حركة البيع تمامًا فقالت إحدي الفتيات:

- الساعة بقت عشرة يا أستاذ حمدي إحنا هنمشي وزينب هيا اللي هتجمع اللبس الباقي في البروفة وهتقفل المحل.

- ماشي يا بنات اوعى حد يتأخر بكرة.

أخذ حمدي يجمع نقوده من درج المكتب وهو يتظاهر بالتركيز في أوراق الحسابات ثم نظر إلى زينب وقال:

- زينب اتأكدتي إن مفيش أي حاجة في البروفة.

- حاضر يا أستاذ حمدي أنا داخلة أشوف.

لم تكد زينب تدخل إلي الغرف المخصصة لقياس الملابس حتي فوجئت بأيدي حمدي وهو يضمها إليه.

- إيه يا زينب إنتي احلوتي قوي النهاردة أنا كنت ماسك نفسي بالعافية.

رفعت زينب يديها وكأنها تريد أن تتخلص من يديه وهي تقول:

- مش كده يا أستاذ حمدي حد يدخل المحل.

- ما تقلقيش أنا قفلت الباب الإزاز بالمفتاح وطفيت أنوار الواجهة كلها.

أخذ حمدي يحاول أن يقبلها وهي تبعده في غير شدة وتتمنع عليه؟

- لو عايزني بجد يبقي جواز رسمي وأنا راضية أكون الزوجة التانية.

- إنتي عارفة إنه ماينفعش يا زينب، أنا كده هخسر حاجات كتير، يا ريت ينفع تبقي معايا علي طول بس مش هينفع نتجوز دلوقتي،وكمان أدينا بنقضيها علي قد ما نقدر، إنتي بس لو تسمعي كلامي هخليكي ملكة ومش هتحتاجي لحد.

- لا يا أستاذ حمدي أكتر من اللي بتعمله ما ينفعش لحد ما تشوف طريقة ونتجوز، وكمان أنا زعلانة منك.

- زعلانة ليه بس أنا عملتلك حاجة، أنا مقدرش على زعلك.

- كفاية إنك زعقت ليا قدام البنات.

- حقك عليا أنا لازم أعمل كده علشان ماحدش يلاحظ حاجة وكمان أنا هاصالحك دلوقتي حالاً.

- هتصالحني إزاي بقي؟؟

- خلينا في جمالك بس الأول.

أخذ حمدي يقبل زينب ويحتضنها وهي تتمنع حينا وتتجاوب حينا وهو يحاول أن يصل إلي ذروته معها، تجاوبت زينب مع قبلاته ولكنها كانت تصد يديه كلما حاول أن يزيل ملابسها ويتجاوز الحدود التي وضعتها له.

انتزعت نفسها من أحضانه وهي تقول:

- كفاية كده إنت هتنسي اتفاقنا ولا إيه؟

حاول أن يضمها ثانية إلا أنها خرجت مسرعة من الغرفة الصغيرة فاستسلم لرغبتها وهو يقول:

- حاضر يا زينب حاضر إنتي دماغك ناشفة قوي.

- لو عايز أكتر من كده يبقي جواز علي سنة الله ورسوله.

نظر إليها ثم وضع في يدها بضع أوراق مالية وهو يقول:

- دول تعويض علي الزعيق علشان تعريفة إنتي غالية عندي قد إيه.

ألقت نظرة سريعة على النقود ثم دستها في حقيبتها وفتحت باب المحل.

- أنا هامشي بقي، أنا اتأخرت قوي..

خرجت زينب من المحل وهي تقاوم شعورها بالغثيان فعلي الرغم من أن هذه ليست المرة الأولي لما فعله حمدي إلا أنها في كل مرة لا تستطيع تحمل رائحة أنفاسه ولا رجرجة جسده المترهل وهو يحتضنها.

لم تكد تبتعد قليلاً حتي أخذت تحصي النقود التي أعطاها إياها حمدي بالإضافة إلي نقود البقشيش، وأخذت تتنهد وهي تقول بداخلها...

ربنا يتوب علينا ...

●●●

obeikandl.com

الشيء

obeikandl.com

obeikandl.com

ارتسمت ابتسامة واسعة علي شفتي ابتسام وهي تتطلع إلي هاتفها المحمول وتقرأ سطور المحادثة بينها وبين هيثم وأخذت تكتم ضحكاتها كي لا تلفت انتباه الركاب في الميكروباص الذي يقلها إلي عملها، ولكن ضحكاتها المكتومة نجحت في الفرار إلي شفتيها لتزيد من ابتسامتها وتصبح ملامحها تعبيرًا صادقًا لاسمها...

كان أكثر شئ يجذبها إلي هيثم هي قدرته علي إضحاكها حتي في أسوأ مواقف حياتها كانت تلجأ إليه كي تنسى متاعبها بضحكات ينجح دائمًا في صنعها.

رفعت يدها لكي تعدل من وضع الحجاب علي رأسها في حركة عفوية اعتادت عليها وهي تختلس النظر إلى الشخص الجالس إلي جوارها، وبقية الركاب أمامها كي تتأكد أن أحدًا لم يلاحظ ضحكاتها المكتومة.

نظرت في هاتفها المحمول ثانية لتعرف الوقت الآن بعدما انتبهت إلي أن الطريق مزدحم، وأن السيارة تتحرك علي أوقات متقطعة وأخذت تحسب الوقت المتبقي للوصول إلى الشركة حيث تعمل لتجد أنها قد تتأخر عن وقت الحضور إلا أنها لم تبالي كثيرًا وقالت لنفسها:

- على قد فلوسهم.

كانت ابتسام مثل العديد من قريناتها تخرجت من كلية التجارة منذ عدة أعوام وظلت تبحث عن عمل، وتنقلت من عمل لآخر حتى وجدت هذه الوظيفة في شركة تعمل في مجال الكابلات الكهربائية بمرتب يكفي بالكاد لسداد نفقاتها الشخصية ولكنها فضلت العمل عن البقاء في المنزل علي الرغم من بعد الشركة عن منطقة سكنها.

كان خط سيرها اليومي يبدأ بمترو الأنفاق ثم ميكروباص تنزل منه بالقرب من الشركة وتمشي لبضع دقائق حتى تصل لمقر عملها فكانت هذه الرحلة تستغرق حوالي الساعة والنصف صباحًا، وأكثر من ساعتين في رحلة العودة عندما تنتهي من عملها في الساعة الخامسة مساء.

في بداية عملها كانت تحرص على ميعاد الحضور حتى أنها اضطرت عدة مرات إلي استقلال سيارة أجرة حين وجدت نفسها ستتأخر عن ميعادها، إلا أنها اكتشفت أن مرتبها سينتهي قبل منتصف الشهر لو أنها واصلت ركوب سيارات الأجرة بهذا المعدل، فالتزمت بالاستيقاظ مبكرًا لتستطيع الحضور في ميعاد مناسب.

اعتادت ابتسام علي زحام مترو الأنفاق إلا أنها كانت تهرب من المضايقات والمعاكسات بالركوب في العربة المخصصة للسيدات في المترو، أما في الميكروباص فكانت تحاول دائمًا أن تشغل أقل مساحة ممكنة في مقعدها.

واصلت ابتسام محاولة الانكماش في مكانها، والتصقت بالنافذة وهي تتطلع إلي شاشة هاتفها منتظرة رد هيثم على رسالتها وهي تقول لنفسها لابد وأنه مع أحد الزبائن الآن في محل الملابس ذو الماركة الشهيرة الذي يعمل به.

انطلقت خواطرها مع هيثم فقد تزاملا في أول مكان عملت به بعد التخرج، وأعجبت دومًا بسرعة بديهته ونكاته ومرحه الدائم، وعلي الرغم من أنهما تركا العمل سويًّا إلا أن علاقتهما لم تنقطع بل بالعكس ازدادت تماسكًا.

وتطورت الزمالة إلي صداقة فكان كل منهما يحكي للآخر أحداث يومه والمواقف التي يتعرضان لها في العمل، وبأسلوبه الساخر كان يثير ضحكها بما يرويه عن مواقفه مع الزبائن.

فجأة انقطعت كل أفكارها حين أحست بشئ يضغط علي جانبها من الخلف مما دفعها إلي محاولة تعديل وضعها لكي تتفادي هذا الشئ فمالت إلي الأمام ثم ابتعدت بجسدها عن

ظهر المقعد قليلاً وانتظرت في هذا الوضع قليلاً، ولكنها شعرت بعدم الراحة مما جعلها تريح ظهرها ثانية وهي تعاود النظر ثانية في شاشة هاتفها وكأنها تستنجد بهيثم كي ينتزعها من هذا الشئ الذي آثار توترها، لم تكد تستوي ثانية في مكانها حتي عاود هذا الشئ ضغطه ثانية ولكن هذه المرة زاد من قوة الضغط مما دفعها إلي الالتفات خلفها لرؤية ماذا يحدث إلا أن هذا الشئ انسحب سريعًا وهي تلتفت لتصطدم عينيها بوجه الرجل الجالس خلفها.

كان هذا الرجل ينظر عبر النافذة التي بجواره وقد بدا من ملامحه التي حملت مزيجا من الضجر المختلط بالاجهاد انه قد تجاوز الاربعين من عمره، لاحظت انه يضع عى ركبتيه حقيبة كبيرة مما جعلها تظن أن تلك الحقيبة ربما كانت تضغط على ظهر مقعدها وتسبب لها هذا الاحساس.

وعلى الرغم من عدم أقتناعها بهذا التفسير الا انها اكتفت بنظراتها التى ظنت انها تحمل تحذيرا لهذا الرجل بعدم مضايقتها والتفتت لتعتدل في مقعدها.

لم تمر سوى دقيقة حتى انتفضت ابتسام فقد أحست هذه المرة بيد تتحسس جانبها وكأنها تفصل جسدها عن جانب السيارة الذي تلتصق به، تجمدت ابتسام في مكانها وأصفر وجهها وتسارعت نبضات قلبها حتي أحست أنه بالفعل سيخترق صدرها ليطلق الصرخة التي تجمدت على شفتيها.

أرادت ابتسام أن تمد يدها لتبعد هذه اليد عنها أو تمسك بها إلا أنها أحست بشلل غريب مما دفع تلك اليد إلى التمادي فيما تفعله فأخذت تزيد من توغلها وكأنما تزيد من رقعة الجسد التي استباحتها في جسم ابتسام، ومع كل حركة على جسدها كان وجه ابتسام يزداد اصفراراً وقلبها يزداد ارتجافا إلا أن تلك اليد لم تكتف بما فعلته بل أخذت تزيد في ضغطها وتحسسها لجسد ابتسام حتى اقتربت من صدرها، وأحست ابتسام أن تلك اليد ستقبض علي روحها مع تلك المنطقة من جسدها، وازداد إحساسها أن روحها ستخترق شفتيها ومع الضغطة التالية لليد على جسدها انتفضت ابتسام وانطلقت أخيراً صرخة من شفتيها إلا أنها خرجت مكتومة لم يسمعها أحد، إلا أن تلك الرجفة التي سيطرت على جسدها مع صرختها المكتومة دفعت اليد إلي التجمد في مكانها وتوقفها عن استكشاف منطقة جديدة، ولكنها لم تتراجع كما فعلت من قبل بل ظلت جاثمة على أنفاسها وكأنما تنتظر رد فعلها لكي تعدل من خططها.

مرت أفكار عديدة بداخل عقل ابتسام إلا أنها كانت مشوشة وعلي الرغم من أن تلك الأفكار لم تتجاوز ثواني قليلة إلا أنها أحست كأن الزمن توقف مع استقرار تلك اليد على جسدها ... لم تعرف هل تستجمع قوتها هذه المرة لتخرج صرختها عالية،

ولكن ماذا بعد تلك الصرخة هل ستقول للركاب أن أحدهم تحرش بها وتوقف عقلها أمام كلمة تحرش ليحاول أن يتذكر ما الذي تعنيه هذه الكلمة، وما الذي يجب أن تفعله من تتعرض للتحرش، إلا أنه فشل في محاولته لتجد نفسها تفكر في نظرات الركاب لها حين تصرخ وربما كان هناك أحد يعرفها أو يعمل معها في الشركة وسيحكي ما حدث للآخرين وأخذت تتخيل نظراتهم لها فوجدت نفسها لا تستطيع تحمل هذه النظرات ... إنها تعرف كيف يفكرون سيقولون أنها السبب سيخترعون أسبابًا ليبرروا لهذا الرجل ما فعله وستصبح هي المدانة.

سيطرت عليها هذه القكرة فوجدت نفسها أخيرًا تخرج من جمودها لتصيح:

- على جنب يا أسطى.

وما إن سمعت اليد الغازية هذه الكلمات حتى زادت من قبضتها على جسدها وكأنما تنتزع ما تستطيع أخذه من جسدها وروحها قبل أن تفلت الفريسة.

قفزت ابتسام من مكانها وقفزت الدموع من عينيها وضمت حقيبتها إلي صدرها وكأنما تحتمي بها من هذه الغابة التي وجدت نفسها أسيرة لأحد وحوشها.

لمست أخيرًا قدميها أرض الشارع لتحس بالهواء يمتزج بدموعها ويهدئ من ارتجافة جسدها ورفعت عينيها إلي الرجل الذي كان يجلس خلفها لتجد نظرة الإجهاد قد تلاشت تمامًا وحلت مكانها نظرات الظفر والانتصار مع ابتسامة شامتة تغزو ملامحه.

احست ابتسام ساعتها أنها أخطأت في حق نفسها وفي حق من ستجلس مكانها ... أحست أنها كان يجب أن تصرخ وتصرخ، كان يجب أن تلتفت إليه وتغرز أصابع يديها في جسده وعينيه ... وأن تنتزع روحه كما انتزع روحها.

أرادت أن تجري وراء الميكروباص ثانية، ولكنها ظلت واقفة في مكانها تتابعه وهو يبتعد ودموعها تنساب من عينيها وشفتيها تتمتمان ... ربنا ينتقم منك.

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

العملية

obeikandl.com

obeikandl.com

أغمض فهمي عينيه وهو يحاول أن يستدعي النوم إليها ليهرب من القلق الذي انتابه، وأخذ يتساءل هل ينادي الممرضة ويطلب منها دواء يساعده على النوم أم يتحمل حتى الصباح، انتابه الحنين إلي علبة سجائره وتلك السيجارة التي يشعلها إذا ما انتابه القلق في الليالي التي تشبه هذه الليلة حينما يشغل تفكيره قرار مهم ويجعله عاجزًا عن النوم، لقد توقف عن التدخين منذ شهر مضى، ولكنه الآن كان مستعدًا أن يدفع أضعاف الثمن لقاء علبة سجائره.

كان الصباح هو الموعد الذي تحدد لإجراء الجراحة التي سيخضع لها قلبه بعدما عجزت شرايينه أن تمده بكمية الدماء التي يحتاجها، وفشلت الدعامات التي وضعت فيها من قبل أن تساعدها في مهمتها تلك، حاول بشتى الطرق أن يتجاهل تحذير الأطباء له بضرورة إجراء العملية إلا أن آلام صدره التي تتصاعد بين الحين والآخر أجبرته على الإنصات إليهم وأوصلته إلى ما فيه الآن.

أخذ يلوم نفسه لأنه أصر على رحيل كل أفراد أسرته وكل أصدقائه لأنه يريد أن يسترخي استعدادًا للغد على حد زعمه، ولكن الحقيقة هي أنه لم يكن يرغب أن يراه أحد في لحظات ضعفه وخوفه، كان يشعر بالقلق الشديد من تلك العملية الجراحية

وخشى أن يغلبه هذا القلق أمام الآخرين فأصر على البقاء وحيداً ولكن الآن الشعور بالوحدة أسلمه لمخاوفه التي أخذت تتضخم مع مرور الوقت.

ترى هل تسرع في هذا القرار ؟؟

لقد أكد له العديدون أن هذا الجراح من أمهر جراحي القلب في البلد، ولكن هل كان ينبغي أن أسأل أكثر من هذا ...أم أتوكل على الله ..... أم ماذا؟؟

لقد شاهد العديد من الفيديوهات لتلك العملية على أحد المواقع الطبية على شبكة الإنترنت وكان أكثر شيء آثار خوفه ذلك المنشار الكهربائي الذي سيشقون به صدره لم يكن يتخيل هذا الأمر من قبل، ولم يهتم قط حينما كان يسمع عن تلك الجراحة عن كيفية إجرائها أو أي شيء يتعلق بها، ولكن عندما أصبح هو المريض تغير كل شئ.

لا يدري لماذا أخذ يفكر في الطبيب الذي سيجري له الجراحة في الغد .. ترى هل يعلم حجم القلق الذي أحيا فيه الآن أم لا؟؟ أظن أنه بالطبع لا .... فأنا بالنسبة له مجرد مريض كأي مريض آخر، وتلك الجراحة التي تمثل لي الفرق بين الموت والحياة هي بالنسبة له عمله الروتيني الذي اعتاد عليه ويتكسب منه قوته ...

ولكن هل من الممكن أن تفشل الجراحة ؟؟ هل سأموت بهذه البساطة!!

تذكر فهمي مشهد الطبيب في الأفلام السينمائية وهو يخرج من حجرة العمليات ويقول لأهل المريض:

- إحنا عملنا اللي علينا بس قلبه مستحملش ... البقية في حياتكم....

انطلقت منه ضحكة ساخرة وهو يتخيل نفسه في هذا الموقف سيقولها الطبيب لهم ويبدي آسفه، ثم ينسي ما حدث ويذهب ليكمل عمله وهو يضحك مع زملائه فما حدث هو إحدى مضاعفات الجراحة التي أقر بمعرفته إياها ووقع إقرارًا بتقبله حدوثها....

سيمضي الطبيب تاركًا خلفه جسدي وهو جثة هامدة ويترك أسرتي وهي تبكي ثم ينسي الجميع ما حدث وأصبح مجرد ذكرى يتذكرها من يتذكرها وينساها من ينساها.

أخذت الأفكار تتدافع إلى رأس فهمي من هنا وهناك وهو يتقلب على فراشه ينظر إلى ساعته كل دقيقة وكأنه يستجدي عقاربها أن يسرعا في دورانهما، ولكن بلا فائدة وكأن الوقت يعانده فيمر بطيئًا.

انتبه على فتح باب غرفته لتدخل الممرضة وتطمئن عليه وتقوم بقياس ضغطه ونبضه وقامت بإعطاءه حقنة مهدئة جعلت رأسه يدور قليلاً ثم اسلمته إلى نعاس قلق.

فتح فهمي عينيه ليجد ابنته تجلس بجواره مستغرقة في قراءة القرآن من مصحف صغير في يدها، استغرق لحظات حتى استعاد ذهنه القدرة على التركيز ثم قال لها:

- إنتي هنا يا ندى؟؟ جيتي بدري ليه كده؟؟

توقفت ندى عن قراءة القرآن والتفتت إلى والدها وهي تجاهد لترسم ابتسامة على شفتيها لكي تجعلها تبدو هادئة أمام والدها.

- أنا قلت آجي بدري قبل الزحمة وماما ووليد يوصلوا براحتهم.

كان احمرار عينيها واضحًا يشي بنوبات طويلة من البكاء مع عدم النوم، ابتسم فهمي وهو يضم كفها لكفه، كانت العلاقة بينه وبين ابنته علاقة خاصة فكان هو دائمًا مستودع أسرارها وصديقها أكثر من والدتها.

- إنتي قلقانة ولا إيه يا ندى دي بقت عملية بسيطة ... كلها كام ساعة وارجع شباب تاني.

لم ترد ندى، ولكن لمعان عينيها أوضح كم الدموع الحبيسة فيهما، واكتفت بأن تركت يدها في يد والدها.

لم يمض الكثير من الوقت حتى وصلت زوجته وابنه وتلاهما وصول بعض أفراد عائلته وانشغلوا جميعًا بالحديث فيما بينهم وأخذ كل منهم يذكر تجربة أحد معارفه مع عمليات القلب وكيف أنه أصبح مثل الحصان بعد العملية، وأن تلك العمليات صارت سهلة لا خوف منها، أخذت الكلمات تتداخل في ذهن فهمي وتمني لو يصمت الجميع ويتركوه هو وابنته فقط، كان يعلم أن نواياهم صادقة ولكن التصنع البادي في كلامهم صار غير قادر على تحمله.

أنقذته طرقات الممرضة على باب الغرفة ودخلت وهي تدفع أمامها طاولة صغيرة تراصت عليها أواني معدنية وملابس خاصة للتحضير للجراحة.

- أستاذ فهمي ...عايزين نجهز حضرتك للعملية.

نظر فهمي لابنته وبدا كأنه يقول ... لا مفر الآن....

غادر الجميع الغرفة وتركوه مع زوجته والممرضة ليبدأ العد التنازلي للجراحة ..

مرت دقائق طويلة من استسلام فهمي الكامل لتعليمات الممرضة، يحاول أن يبتسم ويمزح ولكن بعدما انتهى من ارتداء الزي الخاص بالجراحة بدا عليه الوجوم والقلق، لم يكن مستريحًا في تلك الملابس ذات الملمس الورقي وبعكس المساء لم تؤثر فيه تلك الحقنة المهدئة التي أخذها الآن بل على العكس أحس أن توتره قد زاد.

حاول أن يخفي جسمه المحاط بذلك الزي الورقي تحت أغطية الفراش التي رفعها حتى عنقه.

ولكن الممرضة دخلت الغرفة ثانية وهي تدفع أمامها ترولي العمليات وتضعه بجوار الفراش وتقول:

- اتفضل انتقل هنا يا أستاذ فهمي.

حرك فهمي جسده إلي ذلك الترولي الخاص وبدأت الممرضة ومعاونتها في تحريكه عبر باب الحجرة التي وقف أمامها أفراد أسرته.

تطلع إليهم فهمي وقد غلب الوجوم على ملامحهم وأخذ البعض يتمتم ببعض الآيات القرآنية، والبعض ينظر صامتًا وهو يحاول أن يجعل نظراته مشجعة.

وفجأة غمره شعور بالراحة والهدوء مما جعله يرفع يده ويلوح لهم وهو يقول... أشوف وشكم بخير.....

ربنا يسترها

obeikandl.com

obeikandl.com

أسرع وليد في النزول علي درجات السلم المتهالكة وهو يضع يديه داخل جيوب سترته الجلدية ذات الحواف المتآكلة ويقرب بين يديه محاولاً تقريب طرفي السترة علي صدره ليعوض عدم وجود أزرار لسترته يستطيع أن يحكم إغلاقها بعد أن تساقطوا واحدًا تلو الآخر ...

ولم يكد يخرج من باب المنزل حتي قطع شارعهم الضيق في خطوات مسرعة وهو يحكم من وضع كوفيته علي رقبته وقد تشابكت أطرافها الممزقة مع كم هائل من الأتربة.

لم يبال وليد بكل هذا حتي مع تزايد درجة البرودة بعد أن تجاوزت الساعة العاشرة مساء، ولكن كل ما اهتم به كان شريط المخدر الذي يقبع في أحد جيوبه، فقد أخذت حباته في التناقص سريعًا ولم يعد يبقي فيه سوي حبتين فقط مما يعني أنه سيقضي ليلة سيئة جدًّا إذا لم يستطع شراء المزيد...

اتجه وليد إلي مبرد المياه الموجود بجوار المسجد الصغير الذي يبدأ به شارعهم، وملأ كوب من المياه واخرج شريط المخدر من جيبه ليخرج الحبتين منه ويلقي بهما إلي فمه سريعًا قبل أن يلاحظ أحد ... أفرغ وليد كوب المياه في جوفه سريعًا وانتظر لحظات وبدا كأنه ينتظر تأثير المخدر ليسري في جسده وعقله..

أكمل وليد طريقه ولم يكد يقطع أمتارًا قليلة حتى وجد صديقه هيثم ينتظر فوق دراجته البخارية، وبدون أن يتحدثا استوي وليد في الجزء الفارغ من المقعد خلف هيثم الذي انطلق مسرعًا ليسأله وليد:

- علي فين يا هيثم النهاردة؟

- أنا بقول المعادي .. هتبقي هادية في البرد دا ولا نشوف حتة تانية.

- خلينا في المعادي وربنا هيكرمنا إن شاء الله.

- يا ريت يا وليد ... أنا علي أخري.

- إنت معاكش أي تصبيرة أنا واقع.

- منين بس ماحنا بقالنا كام يوم قاعدين ... وخلي بالك حمادة زود الأسعار تاني.

رد وليد منفعلاً...

- إيه الحرامي دا ... دا لسه مغلي الأسبوع اللي فات.

- بيقول البضاعة بدأت تقل والأسعار غليت.

- حسبي الله ونعم الوكيل ... لازم نشوف حد تاني غيره.

obeikandl.com

- ربنا يكرمنا بس النهاردة ونبقي نشوف.

- يا ريت ربنا يرزقنا بشنطة زي بتاعة المرة اللي فاتت ... صحيح الموبايل ماجبش غير تلتميت جنيه بس تمنه علي الفلوس اللي كانت في الشنطة كيفونا كام يوم.

- ربنا كبير.

أخذ هيثم يقترب من حي المعادي مع تزايد برودة الجو وأحكم وليد من وضع كوفيته ليخفي نصف وجهه السفلي، ولم يكد يبلغ الشوارع الداخلية في المعادي حتي هدأ قليلاً من سرعة الدراجة ليتوقف علي ناصية أحد الشوارع الهادئة وأخذ يراقب المارة ليختار فريسته القادمة..

أخذ وليد يفكر في ما يحتاج أن يشتريه بدءًا من علب المخدر وعلب السجائر وأخذت الأفكار تجول في رأسه ...

يا سلام لو ربنا يفرجها ويرزقنا بشنطة مليانة فلوس علشان الواحد يستريح شوية بدل البهدلة دي، واشتري التموين مرة واحدة بدل ما حمادة عمال يذل فينا، وكمان الواحد محتاج هدمتين بدل الجاكت اللي اتاكل دا، افرجها علينا يا رب ...

لم ينتظرا كثيرًا حتي لمحا إحدي الفتيات وهي تترجل من سيارة حديثة نسبيًّا بعد أن توقفت علي بعد أمتار منهما

أشار هيثم برأسه إلي الفتاة ليومئ وليد بمعني الموافقة لينطلق هيثم بدراجته نحوها ويحكم وليد من وضعه خلفه وهو يستعد للانقضاض علي حقيبة الفتاة.

أسرع هيثم بدراجته حتي أصبح بمحاذاتها تمامًا ليمد وليد يده ويمسك بالحقيبة لينتزعها من يد الفتاة التي فوجئت بما يحدث.

جذب وليد الحقيبة بقوة وهو ينتظر سماع صرخة الفتاة كما اعتاد مع كل السيدات اللاتي انتزع حقائبهن وبالفعل اطلقت الفتاة صرخة عالية جعلت المارة القليلين في الشارع يلتفتوا تجاهها، ولكن الفتاة لم تفلت الحقيبة بل ازدادت تشبثًا بها مما جعل وليد يزيد من قوة جذبه للحقيبة ، الامر الذي افقد الفتاة توازنها واسقطها علي الأرض، ولكن علي الرغم من سقوطها جذبت هي الأخري حقيبتها بقوة أذهلت وليد الذي تفاجأ مما حدث ليجد نفسه يسقط من علي الدراجة هو الآخر ويتدحرج علي الأرض وهو يصرخ من الألم.

هدأ هيثم من سرعته والتف بالدراجة ناحية وليد وهو يصيح به لينهض، وبالفعل حاول وليد أن يعتدل رغم الامه، ولكنه لم يستطع أن يقف علي قدميه وأحس بسائل لزج ينساب علي ساقه لينظر إلي خط من الدماء يتساقط علي حذائه ثم ينظر مرتاعًا إلي المارة الذين بدأوا في العدو تجاهه.

توقف هيثم بالدراجة إلي جواره وهو يصيح به كي يسرع ومد يده ليساعده علي النهوض، وبالفعل تحامل وليد علي نفسه وأعطاه الخوف من أن يمسك به هؤلاء الرجال دفعة من الطاقة جعلته يتشبث بهيثم ويجلس خلفه لينطلقا مسرعين وسط صياح وشتائم المارة.

انعطف هيثم في أحد الشوارع الجانبية المظلمة وأخذ يبتعد عن تلك المنطقة سريعًا وما أن أحس بالأمان حتي توقف ليري ماذا حدث لوليد الذي لم يهدأ آنينه لحظة واحدة.

استند وليد علي هيثم حتي جلس علي الرصيف البارد وأخذ يضغط علي جرح ساقه ليحاول إيقاف النزيف وهو يشعر بآلام في كل جسده.

اطمئن هيثم علي وليد وهو يقول:

- الحمد لله ... جت سليمة المرة دي.

رد عليه وليد وهو يكتم آلامه:

- ربنا يسترها علينا ..... داحنا غلابة....

●●●

obeikandl.com

ستي

obeikandl.com

obeikandl.com

تعلقت عيناها الصغيرتين بألوان إشارة المرور وأخذت نظراتها تتنقل ما بين إشارة المرور إلي عسكري المرور منتظرة أن يرفع يده أو أن تسمع صوت صفارته لكي تتحرك ومرت ثواني هربت عيناها فيها إلي محل المأكولات الذي يحمل علامة شهيرة لسلسة مطاعم عالمية، أخذت نظراتها تحاول أن تخترق الحائط الزجاجي لتري الأطفال يقفون برفقة أهاليهم يطلبون ما يريدون من طعام وآخرون يلعبون في منطقة للألعاب وهم يضحكون.

ولكن انطلق الصوت المميز لصفارة عسكري المرور لينتزع عينيها من اتجاه المطعم ويحرك قدميها الصغيرتين، لتبدأ حركتها التي تتكرر كل بضع دقائق عندما تتوقف السيارات أمام اللون الأحمر المميز لإشارة المرور.

تحركت بين السيارات وهي ترفع يديها إلي سائقي السيارات وتحاول أن تستجديهم لكي يمنحوها أي شيء.

في الأيام الأولى كانت لا تفهم ما الذي تفعله وكان صوتها دائمًا محتبس لا تستطيع أن تنطق أي كلمة به إلا أن صفعات (ستها) المتتالية على وجهها أجبروها أن تنطق الكلمات التي علمتها إياها بصوت مسموع ومفهوم.

تنقلت بين عدة سيارات وهي تهمس لسائقيها (أي حاجة علشان أجيب عشا) أو (أمي تعبانة وإحنا يتامي وعايزة أي حاجة يا بيه) .

تجاوزت العديد من صفوف السيارات ولكنها لم تجن سوى التجاهل واللامبالاة من السائقين الذين اعتادوا وجود المتسولين في الإشارات.

حانت منها التفاتة إلى السيدة التي تدعوها (ستها) فوجدتها في الإشارة المقابلة تحاول أن تقنع أحد السائقين بشراء علبة مناديل ورقية، وبالفعل نجحت في هذا وأخذت منه الثمن لتضعه في كيس أسود ثم رفعت (ستها) عينيها إليها لتري ماذا تفعل مما جعلها تنتفض وهي ترى تلك النظرات القاسية التي تعرف أنها ستتبعها بعدة ضربات من يد (ستها) الغليظة على جسدها النحيل إذا اكتشفت أنها لم تجن أي مال حتى الآن، أسرعت من خطواتها حتي كادت قدميها أن تتجاوز شبشبها المهترئ الموشك على التمزق وأخذت تبحث عن سيارة جديدة لم تطرق نافذة قائدها، وجدت نفسها إلى جانب نافذة سيارة تقودها إحدى السيدات التي كانت تنظر إلى شاشة هاتفها المحمول في انتظار لون الإشارة الأخضر وبجوارها فتاة صغيرة في مثل عمرها.

obeikandl.com

أخذت تطرق على زجاج النافذة وهي تضع كل قوتها في تلك الطرقات وأحست أن هذه السيدة هي فرصتها الأخيرة في هذه الإشارة وإلا ستتعرض إلى عقاب (ستها).

انتبهت السيدة فتحولت عينيها إلى النافذة التي بجوارها وهمت بأن تصرخ في وجه من يطرق زجاج السيارة بهذه الطريقة إلا أن عينيها وقعتا على وجه الفتاة الصغيرة المذعور وعلى عينيها الخائفتين.

همت الفتاة أن تقول جملتها المعتادة إلا أنها وجدت نفسها تقول (أي حاجة والنبي لحسن ستي هتضربني لو رجعتلها من غير فلوس).

اندهشت السيدة من كلام الفتاة وأخذت تنظر إلي عيني الفتاة المائلة إلى الاخضرار وبشرتها التي توحي أن لونها الأصلي سيكون أبيض لو تخلصت من طبقات الأتربة التي احتلت جلدها، وسألتها:

- إنتي اسمك إيه؟

- رضوى.

- إنتي عايشة مع مين يا رضوى؟

أشارت رضوى بعينيعا إلى (ستها) وهي تقول:

- مع ستي.

- وماما وبابا فين؟

- ماعرفش.

نظرت السيدة إلى (ستها) تلك وهي تبحث عن أي وجه للشبه بين رضوى و بينها بملامحها الغليظة وبشرتها السمراء وعندما فشلت عادت لتنظر إلى رضوى لتجد عينيها منشغلة بالنظر إلى ابنتها التي كانت تمسك بقطعة شيكولاتة تنزع عنها غلافها وسألتها:

- إنتي أي فلوس بتاخديها ستك بتاخدها.

- آه.

- طب بتاكلي كويس ؟؟ بتروحي المدرسة؟؟

نظرت رضوى إليها وكأنها لم تفهم معنى كلمة الأكل أو المدرسة إلا إن الجواب بدا واضحًا للسيدة من جسد رضوى النحيل وعينيها التائهتين.

انتابت الحيرة السيدة فهي تريد أن تساعدها ولكن لا تعرف كيف فبالتأكيد لن تستفيد رضوى من أي جنيهات ستعطيها لها

ونظرت إليها وهي تشعر بالآسى تجاهها فوجدت عينيها تنظران إلى قطعة الشكولاتة التي في يد ابنتها، فالتفتت إليها وهي تقول:

- ممكن يا ليلي تديني الشكولاتة وأنا هاجيبلك واحدة تانية أول ما نوصل.

نظرت ابنتها إليها ثم إلى قطعة الشيكولاتة التي كانت بدأت بالفعل في أكلها وهمت بالرفض إلا أنها لم تتكلم ومدت يدها بالشكولاتة إلى أمها وهي لا تستطيع أن تمنع شعورها بالاستياء من تصرف والدتها التي قالت لها :

- شكرًا يا حبيبتي.

ناولت قطعة الشيكولاتة إلى رضوى التي تجمدت في مكانها ولم تمد يدها الصغيرة لتأخذها فقد تشتت بين رغبتها في أن تأخذها وبين خوفها من عدم إعطائها أي نقود.

إلا أن السيدة هتفت بها:

- امسكي يا رضوى كليها كلها لوحدك.

أمسكتها رضوى في اللحظة التي ارتفعت فيها أصوات آلات التنبيه من السيارات التي تقف خلف سيارة السيدة وتريد أن تتحرك بعد تغير لون إشارة المرور إلى الأخضر.

تحركت السيارات وتسللت رضوى بينها إلى الرصيف وهي تقبض على قطعة الشيكولاتة وما إن جلست على الرصيف وأخذت قطعة صغيرة من الشيكولاتة في فمها حنى وجدت (ستها) أمامها تنظر لها بقسوة وهي تسألها:

- الست اللي في العربية كانت بتقولك إيه؟

أطبقت رضوى بيديها على قطعة الشيكولاتة وهي تحاول أن تدسها بين ثنايا جلبابها القديم بعيدًا عن نظرات (ستها) وهي تقول:

- ولا حاجة.

أمسكت (ستها) بيدها في قسوة وهي تصرخ بها:

- وإيه اللي انتي خدتيه منها دا؟

حاولت رضوى أن تقاومها إلا أن قبضة (ستها) القوية وأصابعها الغليظة انتزعت قطعة الشيكولاتة من بين أصابع رضوى الصغيرة.

ولم تكتف (ستها) بهذا، ولكن نزلت بيدها الأخرى بلطمة على وجهها وهي تهتف:

- إنتي كمان عايزة تاكلي شيكولاتة ... ركزي في الشغل ... قومي يالا الإشارة هتقفل..

نظرت رضوى إليها وقد أصبحت صورة (ستها) غير واضحة ومشوهة بسبب الدموع التي ملأت عينيها واتخذت خديها الصغيرين مسارًا لها وكأن عينيها تصرخ عبر دموعهما ..

ربنا يتوب علينا ...

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

ليلة الكاكاو

obeikandl.com

obeikandl.com

أخذت خطوات مجدي تتسارع لتجعل قطرات الماء تتقافز تحت قدميه في حركات متتابعة متصلة، وكأن كل قطرة لا تعود إلى مكانها في بقعة الماء الخاصة بها حتى تسلم موقعها العالي إلى قطرة مجاورة لها تعلو هي الأخرى في لمحة من البصر وتعود إلي بركتها الصغيرة ...

ولكن أخذت تلك البرك الصغيرة في التوسع واحتلال ما يجاورها والاتحاد مع البرك الأخرى المجاورة لها ومع تزايد شدة الأمطار أعلنت المياه سيطرتها التامة علي الشارع لتغطيه بالكامل، ويبدأ منسوبها في الارتفاع لتخفي معالم الحفر الصغيرة فيه،وتبدأ في زحفها نحو الرصيف محاولة تغطية سطحه هو الآخر ..

أسرع مجدي أكثر وأكثر وهو يرفع حقيبته الصغيرة فوق رأسه محاولاً حمايتها من طلقات المياه المنهمرة عليه من السحب التي تراكمت على نحو غريب وسريع لتبدو وكأنها تحشد كل قواها وتفتح نيران أمطارها علي كل ما هو أسفل منها..

اختلس نظرة سريعة إلي حذائه واعتصره شعور بالألم على منظره وهو يغوص وسط المياه ويرتفع كأنه يحاول الهروب من قبضة برك الأمطار التي ترفع يديها عنه لثقتها في أنه سيعود إليها ثانية ...

- يا غبائي !!

هتف مجدي بداخله بهذه العبارة لعدم ارتدائه حذائه القديم الذي كان سيصبح ملائمًا لهذا الجو الممطر ولكن مالبث أن خفف من ندمه وهو يقول:

- وانا هاعرف منين ان الجو هيمطر بالشكل دا ... ربنا يستر وما يحصلوش حاجة...

لم يكن الوقت تأخر كثيرًا، ولكن فجأة خلا الشارع من المارة ومن وسائل النقل ويبدو أن الجميع آثر الاختباء هربًا من الأمطار.

أخذ ينظر حوله ليرى إن كانت هناك أي سيارة تمر في هذا الشارع فقد كان على استعداد أن يضحي بنقوده ويركب سيارة أجرة، ولكن كانت السيارات المارة قليلة للغاية وحتي الميكروباصات كانت ممتلئة ولا تبالي بإشاراته المتتالية إليها أو إشارات الأشخاص القليلين الذين يشاركوه محاولة الهروب من سطوة الأمطار.

نظر حوله ثانية لعله يجد أي مبنى مدخله مفتوح ليحتمي بداخله قليلاً عسى أن تهدأ الأمطار، ولكن هذه المنطقة كانت مبانيها إدارية تحتل مساحات كبيرة من الشارع، وتحولت في هذا الوقت إلي مجرد هياكل أسمنتية ضخمة مصمتة لا حياة فيها ولا ملامح واضحة لمداخلها ومخارجها ...

أسرع مجدي محاولاً تجاوز هذا الشارع والوصول إلي الميدان الرئيسي حيث سيجد بالتاكيد أي وسيلة مواصلات ..

حاول أن يقنع نفسه أن الأمطار بدأت بالتراخي في هجومها وأنها ما تلبث أن تتباطئ لتنهي هذه المعركة غير المتكافئة إلا أن السماء توهجت فوقه كما لو أن السحب تشعل صواريخها الخاصة للاحتفال بنجاحها في جعل البشر يهرعون من أمامها مطأطئ الرؤوس محاولين الاحتماء منها بأي شيء.

أخذت الاحتفالات تتوالي في السماء مع تصاعد صوت هادر ضخم مميز لصوت الرعد بدا وكأنه مدافع صوتية ضخمة تطلقها السماء لبث الخوف في نفوس البشر ليسرعوا بإعلان استسلامهم وخضوعهم لقوة الطبيعة التي يحاولون اغتيالها كل لحظة...

كان مجدي يكره هذا الصوت الذي يحيط برأسه وهذا الوهج الذي يغطي السماء ومع كل صيحة تقتحم أذنه كان خوفه يتزايد وهو يحاول أن يجد أي شخص قريبًا منه علّه يستأنس بوجوده ويطرد هذا الشعور بالخوف إلا أن الناس بدا وكأنها تبتعد عنه مع هروبها من الأمطار.

آخر مرة كان الجو بمثل هذه الصورة كان منذ عامين .. أجل ما زال يذكر هذا الصوت الذي أخذ يقتحم حجرته إلا أنه

لم يبالي به تلك المرة بل كان ينظر الى زجاج نافذته ولا يبالي بقطرات المطر التي تصطدم به وكأنها تحاول أن تكسره، وبدا البرق ساعتها مجرد ظاهرة طبيعية يراقبها بل ويستغلها من أجل أن يتحدث إلى مها..

لعله فرح تلك الليلة بعنف الأمطار وشدتها وانهمارها كالسيل فقد كانت فرصة أن يتحدث إلي مها مرة أخرى هذا اليوم على الرغم من تأخر الوقت بحجة الاطمئنان عليها، وبالفعل ردت عليه وبدا على صوتها أنها خائفة بالفعل فقد كان هدير الرعد قويًّا ومزعجًا في هذه الليلة ولكنه لم يكن يسمعه بل كان يسمع صوتها فقط...

تفاصيل تلك المكالمة كانت في ذاكرته فقد أخذ يتحدث معها ويحاول أن يطمئنها، شدد عليها ساعتها أن تتأكد من إحكام إغلاق شرفة حجرتها وتشغيل التلفزيون كي يغطي على صوت الرعد، أخذ يحاول أن يبدو بمظهر العاشق الذي يخشى على محبوبته من أي شيء والتي تلجأ إليه لتحتمي به من أي شيء يثير فزعها..

كانت مها صديقة أمام الآخرين وحبيبة بينه وبين نفسه، كان يخشى من مصارحتها بمشاعره حتى لا يضطرها إلي اتخاذ قرار قد لا يكون في صالحه إن كانت لا تبادله نفس المشاعر...

ولكن يومها تكلمت معه بحرية وراحة وبدا وكأنها كانت تنتظر هي الأخرى مكالمة كتلك تطرد خوفها ...

وفي أثناء حديثه معها دخلت والدته عليه في الحجرة إلا أنه كان في عالم آخر فأبعد الهاتف عن فمه وهو يقول لوالدته:

- ثانية يا ماما أنا باتكلم في التليفون.
- أنا باطمن عليك يا مجدي ... عايز حاجة؟

هز راسه بالنفي وهو يتعجل خروجها ليواصل المكالمة ..

- أنا هاعملك كاكاو يدفيك.
- ماشي يا ماما ... شكرًا.

عاد ثانية إلى مكالمته وانهمك في الكلام مع مها حتى أنه لم ينتبه عندما دخلت والدته ثانية لتضع كوب الكاكاو الساخن بجواره وتنظر إليه وتخرج من الحجرة.

كان يعيش مع والدته بمفردهما بعد وفاة والده منذ ثلاثة أعوام وزواج أخته الوحيدة وسفرها مع زوجها.

كان التحق بالعمل منذ شهرين حيث تعرف على مها وتعلق بها.

obeikandl.com

طالت المكالمة بينهما إلى حوالي الساعة واضطر إلي أن ينهي كلامه عندما تنبهت مها إلى أن الوقت تأخر ويجب أن تنام كي تستطيع الذهاب إلى العمل باكر..

بعد أن أنهى المكالمة التفت ليضع الهاتف بجواره لينتبه لحظتها إلى وجود كوب الكاكاو فمد يده ورفعه إلى شفتيه ولكنه وجده أصبح باردًا للغاية فوضعه مكانه وأحكم غطاءه حوله ونام..

أحس مجدي بشوق جارف إلى كوب الكاكاو هذا الآن .. وأخذ يلوم نفسه .... لماذا لم أشربه ساعتها ؟؟

انتبه الآن فقط أن والدته لابد وأن وجدته في الصباح كما هو لم يتناول منه شيء فأحس برجفة في قلبه ... ترى هل حزنت أنه انشغل بالمكالمة لهذه الدرجة؟؟

- يا ريتني كنت شربته ... يا رب ما تكون زعلت...

أخذ يلوم نفسه ويدعو بهذا الدعاء ثم ترحم عليها ودمعت عيناه وبدا أن ذكرى كوب الكاكاو البارد أثارت مشاعره، وجرت عليه أحداث وفاتها فوجد دموعه تنهمر من عينيه.

تراخت مشيته الآن وأنزل الحقيبة من فوق رأسه لترتطم قطرات الأمطار برأسه وتتحد مع دموعه وتغطي وجهه .. تثاقلت خطواته ليترك جسده تغمره الأمطار وكأنه يعاقب نفسه على إهماله لوالدته تلك الليلة وعدم مراعته لمشاعرها.

كان يعلم أنه كان كل شيء بالنسبة لها تحرص على طعامه وملابسه، بل ولا تتناول غذاءها إلا حين يأتي من العمل متأخرًا.

تذكر آلام ركبتها وكيف كانت تحد من حركتها ليزيد ألمه ... كيف لم ينتبه ساعتها أنها تحاملت على نفسها وقامت من تحت غطائها لتقاوم البرد وصعوبة الحركة وتعد له شرابه المفضل في هذا البرد ولايبالي أن يشربه ...

أخذ إحساسه بالذنب يتزايد وهو يحدث نفسه كيف لم انتبه إلى هذا ؟؟ .... ومن أجل من؟؟ .... مها!! ..... مها التي صارحها بمشاعره فقالت له بكل بساطة تلك العبارة الشهيرة التي تحطم قلب من يسمعها ...

- يا مجدي أنت زي أخويا....

أجل قالتها بكل بساطة حتى أحس أنها مشوبة بالسخرية فكيف تخيل أنها تبادله نفس المشاعر خصوصًا أن أحواله المادية لا تبدو مناسبة للارتباط بها ...

كسرت مها قلبه حتى أنه قضى وقتًا طويلاً يشعر بالامبالاة تجاه كل شيء ولم يهتم ساعتها أن يخفي أحزانه أمام والدته التي أحست بقلبه المجروح وسألته إن كان شيء حدث بينه وبين مها، تعجب مجدي فلم يكن قد أفصح لوالدته عن مشاعره ناحية مها

وعزمه على مصارحته إياها برغبته في الارتباط بها إلا أن والدته كانت تدرك كل ما بداخله وعندما أخبرها بما حدث عرضت عليه أن تبيع ذهبها القليل إن كانت المشكلة في المال ..

إلا أنه رفض قائلاً: إنها ترفض الفكرة من الأساس حتى ولو كانت ظروفه المادية هي التي لم تشجعها على التفكير فيه، ولم تلبث والدته إلا عدة أسابيع بعدها لتسوء صحتها أكثر وترحل وتتركه يعيش في تلك الشقة القديمة لوحده....

تركته مها ورحلت والدته فلماذا يتعجل في العودة إلى المنزل الآن....

توقف مجدي وترك نفسه تمامًا للأمطار التي تنهمر عليه، استند إلي جدار المبنى المجاور ولم يعد يشعر بأن الأمطار تهاجمه ولم يعد صوت الرعد يثير خوفه بل أحس أنه يهمس إليه أنه ليس وحيدًا، وأحس أن قطرات الأمطار تحنو عليه وتبعث فيه دفئًا غريبًا وليس بردًا كما كان يتخيل...

●●●

الفراق

obeikandl.com

obeikandl.com

ترددت مروة في الضغط على جرس الباب وبدأ الشعور بالندم يسيطر عليها؛ لأنها أتت إلى هنا ونظرت إلى منى صديقتها وكأنها تنتظر منها أن تبادر هي بالرحيل ولكن منى مدت يدها فضغطت جرس الباب ومرت لحظات أخذت تستعيد فيها مروة هدوءها فهي لم تكن تحب أن تأتي معها لزيارة صديقتهما يسرا، إلا أن إلحاح منى عليها جعلها توافق على الحضور معها، ولم تستطع البقاء هادئة فهمست لمنى:

- مش كان أحسن ان احنا نستنى لحد ما تهدى يسرا وتعدي الفترة دي، اكيد هتبقى عايزة تقعد لوحدها.

- نسيبها لوحدها ازاي؟؟ لازم نكون معاها.

- أنا لو مكانها كان هيبقى احسن لي ان افضل لوحدي بدل من كلمة معلش اللي بتتقال.

نظرت منى بلوم إليها فأشاحت بوجهها إلى الناحية الأخرى، ومرت لحظات أخرى حتى فتحت والدة يسرا الباب لهما.

- مساء الخير يا طنط.

صافحت والدة يسرا كلتيهما وهي تغمم بكلمات الترحيب المعتادة ولكن منى قاطعتها وهي تسأل عن يسرا.

- يسرا عاملة إيه يا طنط؟؟ .... إحنا قلقنا عليها، تليفونها مقفول ومش عارفين نطمن عليها ....

- هيا نايمة على طول .. ادخلوا يمكن تفرفشوها شوية.

لم تشارك مروة في الحديث معهما وأخذت تتطلع إلى شقة يسرا، ففي كل مرة تأتي إلى هنا لم تكن تمنع نفسها من تأمل الأثاث الفاخر والمساحة الكبيرة التي تحتلها الشقة ولا يعيش فيها غير يسرا ووالدتها بعد وفاة والدها وزواج أخيها، وتقارن بينها وبين الشقة المتواضعة التي تحيا فيها مع أسرتها.

أسرعت منى إلي حجرة يسرا وفتحت الباب وهي تقول:

- مالك يا يسرا؟؟ ..... قافلة تليفونك ليه؟؟ ..... إيه اللي حصل علشان دا كله ؟؟ .... في داهية، هو اللي خسران...

كانت منى أقرب ليسرا بكثير مني، بل للحق لم تكن يسرا صديقتي المفضلة، لم أكن أحب غرورها والحديث عن عائلتها وأصولها وأقاربها، وعندما أبديت أفكاري تلك في إحدى الأوقات لمنى اعترضت، بل ولامتني كثيرًا وهي تقول إن يسرا طيبة للغاية وتحب الجميع ولم تتعالى أبدًا على أحد، وافقتها بالطبع ساعتها ولكن مشاعري تجاهها لم تتغير.

كانت يسرا تحب شريف أحد أصدقاء الجامعة وتطورت هذه الصداقة إلي مشاعر جامحة، كان حديثها في أغلب الأوقات التي تجمعها بصديقاتها يدور عن شريف وكيف يخططان لمستقبلهما سويًّا، وأين ذهبا، وماذا يقول لها وتقول له.

كانت حياة يسرا بالكامل تدور حوله، مازالت تتذكر فرحتها حين قابل شريف والدتها وآثار إعجابها بحديثه وتخطيطه لمستقبله وحبه الواضح لها، مما أقنع والدتها بكونه العريس المناسب لابنتها خصوصًا وأن أسرته ميسورة الحال ستساعده كثيرًا في الارتباط.

لم تستطع منى ومروة ساعتها كتم صيحاتهما وهما يقبلان يسرا، ولكن مروة كانت ترى أن هذا طبيعي فلماذا ترفض والدة يسرا عريس مناسب وجاهز؟؟

كانت مروة ترى في شريف العريس المثالي، وكما قالت لمنى:

- مين هيرفض واحد زيه!! .... وسيم وعنده شقة ومستقبله مضمون ومن عيلة كويسة...

ولم تكن أحيانا تستطيع إخفاء غيرتها من يسرا فهي ترى أنها حازت على كل شيء الجمال والثراء والحبيب .. وحين تكون مع منى بمفردهما تتحسر على حالها وحال منى وتقول:

- إمتى بقى إحنا كمان نتحب ونحب ونتجوز؟؟

كانت منى تضحك وتقول:

- كل شيء بأوانه .. إنتي مستعجلة كده ليه؟؟

أخذت تلك الأفكار تدور في رأس مروة بينما كانت منى تحاول أن تجعل يسرا تتكلم وتنهض من سريرها مما اضطر مروة إلى مجاراتها فقالت :

- قومي يا يسرا بلاش دلع .. بكرة تحبي واحد أحسن منه .. دا مش آخر واحد يعني....

نهضت يسرا وقد بدا عليها الإنهاك وقد احمرت عيناها من آثار البكاء واحتضنتهما وهي تقول:

- مافيش حاجة يا بنات ... أنا كويسة ...

- كويسة إزاي بس وعينيكى حمرا كده إنتي بتعيطي عليه ولا إيه؟؟

سألتها منى وهي تستنكر حالتها...

- لا أنا كويسة بجد .. أنا كنت هاكلمكم لما أصحى علشان نخرج سوا بس إنتم وفرتم عليا المكالمة ... اشربوا حاجة لحد ما أجهز ونخرج سوا ..

- إيه اللي حصل يا يسرا إزاي سابك بعد الحب دا كله ؟؟؟ مامته برضه ؟؟

obeikandi.com

تنهدت يسرا وهي تقول:

- اللي حصل حصل بقي بلاش نتكلم في الموضوع دا لو سمحتم.

نظرت مروة لها وهي تتذكر كلام يسرا عن والدة شريف وعن نظراتها لها ولوالدتها بطريقة لم تعجبها، فعائلة شريف بالنسبة ليسرا وعائلتها تعتبر أكثر تحفظًا بكثير وكان من الواضح أنها لم تعجب بملابس يسرا القصيرة وكونها لا ترتدي هي ولا والدتها حجابا كما تفعل هي وابنتها، بل أنها لم تستطع أن تخفي دهشتها وانزعاجها حين بدأت والدة يسرا في إشعال سيجارة والتدخين وهي جالسة معهم.

بل إن الخلاف الوحيد الذي حدث بين يسرا وشريف حينما أخبرها عقب زيارة والدته أنه يرغب في أن ترتدي الحجاب، ساعتها تضايقت يسرا وأخبرته أنه يعرفها منذ عدة سنوات ولم يكن هذا الموضوع مثار حديث أبدًا بينهما، وإن كان يري أن الحجاب هو معيار الاحترام فلماذا إذًا يرغب في الارتباط بها إن كانت غير محترمة في نظره.

ساعتها أخذ شريف يعتذر لها ويخبرها أنه يحبها كما هي ويحترمها في كل ما تفعله وأنه كان يتساءل فحسب عن السبب في

عدم تحجبها ولكن أولاً وأخيرًاهذه حريتها الشخصية وحين تريد أن ترتدي الحجاب فلترديه، ولكن يسرا أحست أن والدة شريف علقت على ملابسها بطريقة لم تعجب شريف نفسه.

حين أخبرت يسرا منى ومروة بهذا الخلاف أحست مروة ساعتها بنوع من الزهو لكونها محجبة وكأنها أحست أنها متفوقة على يسرا في شيء أمام شريف وأنها في نظر شريف وعائلته أفضل من يسرا بكل مميزاتها...

جلست يسرا معهما وصمتت قليلاً ونظرت إليهما ثم قالت وكأنها لا تستطيع أن تكتم ما بداخلها أكثر من ذلك :

- شريف اتغير خالص في الفترة الأخيرة، علطول بيقول اللبس دا ماينفعش ..الناس عمالة تبص عليكي هيقولوا عليا إيه وإنتي قاعدة معايا لابسة كده؟؟

مع إنه نفس اللبس اللي طول عمري باخرج بيه معاه ومعاكم، ما تسلميش على حد وإنتي معايا ..إزاي بتردي على فلان بالطريقة دي ..

في الأول قلت دا بيغير عليا بزيادة علشان خلاص هنرتبط رسمي لكن الموضوع زاد قوي عن حده، آخر مرة كنا قاعدين سوا قمت دقيقة ورجعت لقيته ماسك تليفوني وعمال يقلب فيه ويشوف رسايلي، اتعصبت وقولتله:

- إنت إيه اللي جرالك؟؟ .... إنت بتفتش في تليفوني!!

رد بكل برود وقال دا حقي أنا لازم أتاكد من الست اللي هاتجوزها، قولتله إنت جاي بعد السنين دي كلها ولسه عايز تتأكد....إنت أكيد اتجننت ... كفاية لحد كده، وسبته ومشيت ومن ساعتها محدش كلم التاني.

لم تتمالك يسرا نفسها وانهمرت دموعها واحتضنتها منى وهي تقول:

- كل الرجالة كده عايزين يتحكموا وخلاص.

- بس هو ماكنش كده... دا علطول بيقول إنه معجب بشخصيتي وإزاي باتعامل مع الناس وبوقف كل واحد عند حده ... جاي يشك فيا ويقولي أعمل إيه وماعملش إيه ..إيه اللي حصله؟؟

نظرت مروة إلى يسرا في صمت وأشاحت بوجهها للناحية الأخرى...

لست أدري هل كانت الصدفة هي ما جعلتني ألتقي بشريف ذلك اليوم أم رغبتي هي التي دفعتني للذهاب إلى ذلك المول التجاري الذي يضم مبنى إداري توجد به الشركة التي يعمل بها شريف....

أخذت مروة تتجول في المول بالقرب من مدخل الشركة حتى لمحته وهو يغادر الشركة فاقتربت منه وتصنعت الدهشة وهي تقول:

- هاي شريف .. بتعمل إيه هنا؟؟

ابتسم شريف مجاملة لها وهو يقول:

- أنا شركتي هنا في المبنى الإداري .. إنتي لوحدك ولا مع يسرا؟

- أنا لوحدي كنت باتفرج على المحلات وماشية .. إنت ماشي إنت كمان؟؟

ارتبك شريف وعرض عليها أن يوصلها بسيارته ورفضت في الأول ثم قبلت وهي تتأسف أنها قد تتسبب في تأخره.

وما إن جلست بجواره حتى قالت:

- على فكرة يسرا كانت زعلانة قوي منك بس إحنا عملنا الواجب علشان خاطرك.

- زعلانة؟!!! ..... من إيه ؟؟

- إنت عارف إحنا صحاب من إمتى ويسرا ما بتخبيش علينا حاجة، هيا استغربت منك لما كلمتها على الحجاب .

obeikandl.com

بدا على وجه شريف الضيق من أن يسرا تتكلم في كل شيء مع صديقاتها، ولكنه كتم هذا الشعور وقال لمروة:

- إيه الغريب في الحجاب؟؟ مانتي محجبة.

- أنا محجبة الحمد لله ... بس يسرا سبور شوية ... دي بتقوللي ساعات يا متخلفة علشان لابسة حجاب تيجي إنت تقولها اتحجبي!!

يسرا غيرنا ... هي طول عمرها مدلعة ومتربية في وسط متحرر شوية حتى لو هيا مختلفة عنهم بس أكيد متأثرة بيهم.

- وقالت لكم إيه تاني؟

- شوف يا شريف أنا علشان باعزك إنت ويسرا هاقولك على حاجة تاخد بالك منها، بصراحة طنط لبنى مامتها مش مقتنعة بيك قوي هيا كان نفسها تجوز يسرا لحد من قرايبها مش لحد غريب لسة بيبدأ حياته ووافقت علشان ما تزعلهاش بس لسه بتزن عليها إنها تفكر تاني وخصوصًا إن رامي ابن خالتها اتقدم ليسرا قبل كده وبيحاول كل شوية يكلمها علشان تفكر تاني.

تذكر شريف رامي على الفور، لقد لاحظ من قبل ردوده على تعليقات يسرا على صفحتها على الفيسبوك ولفتت انتباهه الألفة

التي يتحدث بها مع يسرا، وبالفعل تكلم معها حوله، إلا إن يسرا قالت إنه تربى معها وتعتبره كأخ لها.

أخذت مروة تتحدث بعد ذلك عن نفسها وعن كونها حين ترتبط بأحد لن تتكلم مع أي رجل بعدها احترامًا لمن ارتبطت به وأنها بانتظار الرجل الذي ستسمع كلامه وتطيعه في كل شئ لأنها ستكون تثق به وبقراراته.

لم تدري مروة لماذا تكلمت بهذه الطريقة عن يسرا، ولكنها أحست براحة غريبة حين لمحت آثار الضيق بادية على وجه شريف وكأنها واجهته بمخاوفه وأكدت شكوكه، وبعد ذلك تحول اللقاء المصادفة إلى لقاءات متكررة بدعوى أنها تريد مساعدته كي تلتحق بالعمل في الشركة التي يعمل بها، ثم بدعوى إخباره بأشياء سمعتها من يسرا عنه وتريده أن يحاول تغييرها.

والغريب أن شريف أحس بوجود حاجز بينه وبين يسرا لم يكن يراه من قبل، وأن هناك العديد من الأشياء التي يجب أن يتقبلها في شخصيتها على الرغم من أنها تختلف مع آرائه، وبدأ يثور على يسرا بطريقة آثارت دهشته قبل أن تثير دهشة يسرا نفسها ثم كان يرجع ويصالحها إلا أن هناك شيئًا ما تغير في علاقتهم.

لم تدري يسرا أنه حين حدثت المشاجرة الأخيرة بينها وبين شريف، أنه تحدث إلى مروة وأخبرها بما حدث، وعلى الرغم من الندم الذي بدا على صوته، إلا أن مروة طمأنته أن يسرا تحبه ويجب أن تقدر غيرته عليها وأن تراجع نفسها وتسعى إلى مصالحته، وعليه الانتظار إلى أن تبادر هي بمكالمته، وأن ما حدث هو الاختبار الحقيقي لحبها له.

كانت مروة بمنتهى البراعة وهي تمزج كلماتها مع بعضها، وتقول الشيء وعكسه بمنتهى البراءة، حتى أن شريف صدقها وآمن على قولها وبالفعل تراجع عن الاتصال بيسرا حتى مرت العديد من الأيام وازداد سمك الحاجز الذي شعر به بينه وبينها.

انتزعتها نغمة هاتفها من أفكارها لتلتفت إلى يسرا لتجدها ما زالت تبكي وخفضت عينيها إلي شاشة الهاتف لتجده هو من يتصل بها....

●●●

obeikandl.com

الإيشارب

obeikandl.com

obeikandl.com

مدت منال يدها برفق لتربت على جسد ابنتها الضئيل المندس ما بين جسدين صغيرين آخرين وهي تهتف:

- بسمة ... بسمة ...اصحي يا بسمة .... يالا يا بسمة مش عايزين نتأخر.

فتحت بسمة عينيها وكأنما استعادت وعيها دفعة واحدة وانسلت من بين أختيها لتحط بقدميها على أرضية الغرفة الباردة وهي تهمس لأمها:

- هو إحنا ميعادنا النهاردة.

- إنتي نسيتي يا بسمة إحنا مش كنا هناك أول إمبارح يبقي هنروح النهاردة.

- حاضر يا ماما أنا هالبس علطول.

أخذت منال تتطلع إلي ابنتها وهي تجاهد لإبقاء دموعها حبيسة في عينيها ...

لقد كبرت ابنتها قبل الآوان، اختفت طفولتها وحل محلها شيخوخة مبكرة لم تستطع أن تتفادى وجودها رغم كل محاولاتها لتعويض ابنتها عما هيا فيه.. صارت بسمة وهي ابنة الثماني سنوات كأنها امرأة تتحمل مسئوليتها بمفردها... لم تكن تتخيل

حين اسمتها بسمة انها لن يكون لها حظ من اسمها لهذه الدرجة، بل ان الاسرة باكمها اختفت البسمة من على وجوههم اغلب الوقت.

أخذت تنظر إليها وهي ترتدي ملابسها على جسدها النحيل ثم التفتت بسمة إليها وهي تسألها:

- الإيشارب فين يا ماما؟؟

- تعالي يا بسمة أنا هاربطه.

اتجهت بسمة إليها بخطواتها الواهنة وهي تقول:

- اربطيه جامد يا ماما ... مش عايزاه يتزحلق زي كل مرة.

مدت منال يدها ولكنها ما أن لمست رأس بسمة الصلعاء حتى ارتجفت يديها وتحررت دموعها من قبضة عينيها ....

كان تساقط شعر بسمة هو القشة التي قصمت ظهرها....

كانت كل خطوة حدثت منذ بداية مرض ابنتها تقضي على جزء من قلبها ....

لم تكن تتخيل أن شكوى ابنتها من الإجهاد وأنها لا تستطيع مواصلة اللعب مع صديقاتها هي التي أوصلتها لما صارت فيه الآن.

obeikandl.com

لقد احتار الطبيب عندما رأي أنها لا تتحسن على الأدوية المعتادة التي يكتبها في حالات البرد والنزلات المعوية لدي الأطفال ومع شكوى منال من أن بسمة تفقد وزنها باستمرار نصحها بالتوجه إلى القصر العيني لأن حالة بسمة أكبر مما كان يظن....

يومها بدأت رحلة الألم الذي لازم قلبها ولم يتركه حتى الآن، ومع كل تحليل وفحص يطلبه الأطباء كان قلبها ينتفض مع دموع ابنتها التي كانت تخشى من شكات الحقن وأنابيب التحاليل وما إن نطق الطبيب بأن ابنتها تعاني من ذلك المرض اللعين حتى وقّع قلبها على وثيقة انتحاره البطيء..

وبدأت هي وابنتها رحلة جديدة من الألم والخضوع لجلسات العلاج التي ما أن واظبت عليها حتي أعلن شعر رأسها عن رحيله كما رحلت روح منال القديمة، وحتى في أوقات الراحة من العلاج ومع التحسن البسيط في صحة ابنتها، كان خلو رأسها من الشعر حاجزًا بينها وبين استعادة روحها أو حتى مواصلة حياتها كما كانت.

لا تستطيع أن تنسى وجه بسمة كلما استيقظت ووجدت شعرها متناثر على الفراش ..كانت في البداية تصرخ وتبكي، ولكن مع مرور الوقت اعتادت بسمة رأسها بشكله الجديد واعتادت غطاء الرأس الذي أخذت هي وأمها في ابتكار أشكال مختلفة لربطه كي تحميه من السقوط المفاجئ.

ما أن ارتدت كلتاهما ملابسهما حتى خرجتا من باب المنزل بعد أن أيقظت منال ابنتها الكبيرة وطلبت منها أن تغلق عليها وأختها الباب جيداً حتى تعود من المستشفى.

تماسكت منال وهي تمشي مع ابنتها فقد كانت تشعر بالدوار والإنهاك وأرادت أن يذهب زوجها عبد القادر بدلاً منها إلى جلسة العلاج، ولكنه خرج مبكرًا من أجل اللحاق بسيارة المقاول الذي عمل معه بالأمس، فقد كان عاملاً ارزقيًّا يعمل في الهدم يشتغل يومًا ويظل جالسًا على الرصيف مع أقرانه كل منهم خلف أدواته منتظرًا الفرج أيامًا أخرى.

كانت تركب ميكروباصًا حتى محطة مترو الأنفاق ثم تستقل المترو لمحطة السيدة زينب وتمشي هي وابنتها حتى مستشفى القصر العيني، ما أن وصلت محطة المترو حتى وجدت الرصيف يفيض بالبشر فقد تأخر المترو وتراصت أجساد الركاب ملتصقة ببعضها البعض، وما أن وصل أخيرًا حتى تدافع الجميع وأخذ يدفع بعضهم بعضا من أجل الركوب.

أمسكت منال يد ابنتها بقوة وهي تحاول أن تقترب من باب المترو ونجحت في الدخول في اللحظات الأخيرة وأخذت تتحرك خطوة بخطوة وهي ترجو الركاب أن يفسحوا لها حتى تبتعد عن الباب وتصل إلى وسط العربة، ولكن مع هذا الزحام اشتبك

الإيشارب الذي يغطي رأس بسمة بشنطة أحد الركاب الذي تحرك من مكانه ليتجه إلى باب العربة لينزع الإيشارب عن رأس بسمة في حركة مفاجئة، انتفضت بسمة وهي تمد يدها تحاول أن تمسك به وهي تجذب يد والدتها بيدها الأخرى ولكن منال انتبهت إلى ما حدث عندما أطلقت إحدى الفتيات الجالسة بجوار والدتها شهقة عالية وهي تهتف:

- الحقي يا ماما ... دي من غير شعر.

انتبه الركاب المتكدسين حول الفتاة إلى ما حدث فالتفتوا إلي بسمة التي أحست بأن الجميع ينظر إليها وحاولت أن تخفي رأسها ثانية بالإيشارب ولكنها فشلت في وضعه بطريقة صحيحة فدفنت رأسها في جسد والدتها التي مدت يدها وحاولت أن تنحني لتربطه على رأس ابنتها ثانية، ولكنها أحست بدموع ابنتها تنسال على وجهها وخرج صوتها ضعيفًا وهي تهمس لها:

- أنا مش قولتلك اربطيه جامد يا ماما.

ضمتها بقوة إليها وجاهدت كي تحفظ توازنها مع اهتزاز عربة المترو وتمنع يديها من الارتعاش وهي تحيط رأس بسمة بالإيشارب وتتمتم بشفتيها:

- ربنا يتوب علينا...

obeikandl.com

الكاتب

obeikandl.com

obeikandl.com

استرخى ماهر في مقعد سيارته بعدما اوقفها على جانب الطريق و اغلق عينيه وهو يحاول تجميع افكاره والسيطرة على فكرة الرواية الجديدة التي طرقت عقله منذ قليل، استمر على هذا الوضع بضعة دقائق ثم انطلق بسيارته ثانية بعدما رسم الخطوط الاولية لتلك الفكرة .

غير ماهر طريقه وقرر الذهاب الى صومعته الخاصة كما كان يحب ان يطلق على تلك الشقة التي اتخذها مكانا ليترجم فيها افكاره على الورق بعيدا عن الازعاج وعن البشر وطوال الطريق كان يرسم خطوطا جديدة في مخطوطة روايته، ولم يكد يصل الى تلك الشقة التي تقع في مدينة الشروق حتى اسرع الى مكتبه واسترخي امام اوراقه وهو يستجمع خواطره التي فكر فيها اثناء الطريق .

اخذ يكتب في الاوراق التي امامه اسماء ابطال روايته، فقد اعتاد ان يكتب مسودة للرواية تحتوي اسماء ابطالها ومخلص لدور كل منهم كما يتخيله، كانت هذه المرحلة هي اصعب مراحل الكتابة بالنسبة له.

امسك قلمه وهو يفكر في اسم لبطل الرواية، اغمض عينيه وهو يقلب في ذاكرته اسماء اصدقائه ومعارفه واخذ يقارن بين اسمائهم وبين اوجه الشبه بينهم وبين بطل روايته ولم يلبث ان

استقر على اسم وليد، فكل من يعرفهم بهذا الاسم علاقته بهم سطحية وسيسهل عليه ان يشكل شخصيته بعيدا عن تاثيرهم، اخذ يكتب اسما تلو الاخر وامام كل اسم كلمات تصف دوره في الراوية ومساره ودرجة قربه من ابطال الرواية الرئيسين .

كان يحلو له ان يسمي تلك المسودة مرحلة الخلق، فحين يمسك القلم ويكتب اسما لاحد شخصيات الرواية كان يشعر انه مثل الاله..... يخلق تلك الشخصيات ويملك اقدارهم في يديه، فهو الذي اوجد تلك الشخصية وهو الذي سيحدد دورها واهميته وهو القادر على جعلها محورية او هامشية، هو الذي سيمنحها الميلاد وهو الذي يقرر ان كانت ستموت في الرواية ام انه سيبقي عليها في النهاية.

اتسعت ابتسامته ثم لم يلبث ان انتبه الى غرابة افكاره فحاول ان يبعد عقله عنها بالتفكير في بداية الرواية، اخذ ينقر باصابعه على لوحة الكتابة في حاسبه الشخصي وهو يحاول ان يضع نفسه في احداث الرواية ويتعايش مع تفصيلاتها واماكنها .

بدأ الكتابة واستغرق تماما فيها، وبين الحين والاخركان يتوقف لينظر في مسودة اوراقه ليتاكد من تناسق الاحداث كما ارادها ان تكون ومن العلاقات بين الشخصيات، ولكنه كان يجد نفسه وقد حاد عن الاحداث كما تخيلها اول مرة، بل بدا ان

مسار الرواية سيتغير بالكامل وفكرتها الاساسية اتجهت الى ناحية اخرى تماما.

توقف عن الكتابة واخذ يفكر هل يترك نفسه لتكتب ما تشاء ام يمضي كما تملي عليه المسودة الاولى التي ظن ان فكرتها رائعة، اخذ يحاول ان يجد طريقة للمزج بين ما كتبه على حاسبه وبين ما كتبه من قبل على اوراقه الا ان الفرق بينهما كان شاسعا.

احس بالارهاق فقرر ان يكتفي بهذا القدر وان يعاود الكتابة فيما بعد، كان ما كتبه غريبا عنه وعن كتاباته السابقة فلأول مرة تكون تعبيراته والفاظه على لسان شخصيات الرواية فجة بهذه الطريقة، واول مرة يصف رغبات وشهوات شخصياته بهذا الوضوح.

فكر في ان يمحو ما كتبه وان يعود غدا ليكتب الفكرة الاولى التي ارادها، الا انه لم يقدر ان يفعل هذا فاغلق جهازه حمله معه وغادر الشقة .

في طريق العودة كانت الافكار في رأسه شديدة الوضوح وكأنها تكتب نفسها بنفسها ومشاهد احداث الرواية ترتسم في مخيلته وكأنها فيلم سينمائي من بطولته وتاليفه واخراجه.

احس انه يرى نفسه مكان وليد، وان ملامح وليد كما تخيلها تتلاشى تدريجيا لتحل محلها ملامحه.....

هل يكتب حياته كما كان يريدها خصوصا بعد انفصاله عن زوجته وحاجته لمن تملأ الفراغ العاطفي والجسدي الذي يجتاحه احيانا؟؟

تذكر زوجته السابقة وفاء بملامحها الرقيقة وشعرها الكستنائي القصير وعينيها الزرقاوين، وانتابه الحنين اليها....

كان ما زال يحبها ويتذكر حياته معها، لم يصمد زواجهما سوى عامين وانهار كما انهارت روحه قبلها، فلم تستطع الحياة مع نصف انسان ترك نصفه الاخر يتحكم فيه ويجعله ينسى مسئولياته تجاه بيته وزوجته التي تحول اعجابها بشخصيته الى نقمة على نزواته وغرابة اطواره ففضلت الابتعاد عنه.

اقترب بسيارته من وسط المدينة حيث منزله القديم الذي رجع ليعيش فيه مع والدته واخيه الصغير، الا انه وجد نفسه يتجه الى حي الزمالك ليترك سيارته ويدخل الى البار الذي جعله ملاذا لبطل روايته وليد.

لم يكن يرتاد هذه الاماكن الا نادرا ولكن هذا البار بالذات بقيت تفاصيله في ذاكرته بمنظر طاولاته المتراصة بشكل هندسي

انيق، والاضاءة الخافتة التي جعلت اركانه شبه مظلمة، وابتسامة العاملين الروتينية بالاضافة الى المكان المخصص للفرقة الموسيقية التي تعزف في ايام محددة كل شه، واهم شيء زبائنه التي كانت ملامحهم والتعبيرات المرتسمة على وجوههم دائما تثير افكاره.

جلس على طاولة صغيرة وطلب زجاجة بيرة على الرغم من كراهيته لمذاقها، واخذ يشرب منها جرعات صغيرة وهو يجول بعينيه في انحاء المكان الذي لم يكن قد امتلأ بعد.

تلاقت نظراته مع نظرات شاب جلس على طاولة قريبة للغاية من مكان الفرقة الموسيقية التي بدا واضحا انها ستقوم بالعزف الليلة، وعلى الرغم من عدم وضوح ملامح الشاب الا انه احس انه يعرفه، بل انه شعر ان نظرات الشاب غير الواضحة اليه تشوبها السخرية.

اشاح بوجهه عنه وبين الحين والاخر كان يختطف بضع نظرات اليه ويحاول ان يستكشف ملامحه.... في حين انهى الشاب كأسه وطلب كأسا اخر واخذ يتطلع الى هاتفه اغلب الوقت.

مرت ساعة منذ دخوله الى البار واقترب عقربي الساعة من الحادية عشر مساء وبدأ المكان في الازدحام، ولاحظ ان اعضاء الفرقة الموسيقية الصغيرة احتلوا مقاعدهم وبدأوا في اخراج

الاتهـم والاسـتعداد للعـزف، وبالفعـل لـم تمـض سـوى دقائـق حتـى تعالـت اصـوات الموسـيقى ذات الطابـع الغربـي.

نظـر الـى الشـاب الجالـس فوجـده قـد التفـت الـى الفرقـة الموسيقية وتجاهـل نظراتـه اليـه واخـذ ينصـت اليهم في اهتمـام، وبعد عـدة دقائـق توقفـت الموسـيقى فنظـر الـى العازفـين الذيـن بـدا عليهـم انهـم ينتظـرون شـيئا مـا لكـي يعـاودوا العـزف ثانيـة، وبالفعـل تقدمـت احـدى السـيدات لتقـف امامهـم وقـد حجـب الظـلام ملامحهـا ومـرت دقيقـة ثـم ارتفـع صـوت الموسـيقى ثانيـة ومـع بدايـة غنائهـا ازدادت الاضـاءة الواقعـة علـى وجههـا فارتفـع حاجبـي ماهـر في ذهـول وهـو يحـدق فيهـا.

- ما هذا !!!! انها مجد....

هتـف ماهـر بهـذه الكلمـات داخـل عقلـه وهـو يواصـل التحديـق فيهـا، فقـد كانـت المغنيـة تشـبه تمامـا مجـد بطلـة روايتـه الجديـدة كمـا تخيلهـا ووصـف ملامحهـا وشـكلها، حتـى ذلـك الفسـتان الـذي ترتديـه هـو نفسـه الـذي قـام بوصفـه منـذ قليـل وهـو يكتـب الفصـول الاولـى مـن روايتـه، اخـذ يسـترجع كلماتـه التـي كتبهـا ...

(تقدمـت مجـد لتقـف خلـف الميكروفـون لتجذب انظـار الجالسـين الذيـن اهتمـوا بالفسـتان الاسـود اللامـع الـذي كشـف عـن كتفيهـا

واستدارة عنقها واعلى صدرها ثم أحاط بخصرها النحيل ليشي بتفاصيل جسدها وانتهي فوق ركبتيها ليعاودوا النظر الى وجهها الجميل وشعرها الاسود الذي لامس بالكاد كتفيها، الا ان مجد تجاهلت نظراتهم وهي تنظر لوليد و تبتسم له ابتسامة خفيفة، فابتسم لها مشجعا وهو يحاول ان يحتويها بعينيه ليحميها من اعين الناظرين).

استعاد ماهر في ذاكرته تلك الكلمات التي وصف بها مجد وهي تغني امام وليد وعندما تذكر وليد التفت الى ذلك الشاب الذي خيل اليه انه يعرفه ليزداد ذهوله مع وضوح ملامح الشاب فقد كان هو وليد بطل روايته كما رسم ملامحه.....

وليد ..... ذلك الشاب الذي فقد هويته مع فقدانه احلامه التي ظنها قد اوشكت على الاقتراب من ارض الواقع مع ثورة يناير لينضم الى احدى التيارات الدينية ويظن ان حياته قد تغيرت الى الافضل ساعتها، ولكنه يدرك اختلاف شخصيته وافكاره عن زملائه ليتركهم وينضم الى احد الاحزاب ذات التوجه اليساري الذي نادى بنفس المبادئ والتوجهات التي اعتنقها، ولكنه يصطدم بعد فترة مع قيادات الحزب الذين اهتموا بصورة الحزب وصورتهم اكثر من اهتمامهم بمبادئ الحزب ليتركه هو الاخر.

ومع توالي الاحداث السياسية في البلد يكتشف انه لا يعرف ماذا يجب عليه ان يفعل، فيقرر الابتعاد عن الجميع والاكتفاء بعمله صباحا والخروج ليلا مع بعض اصدقائه الذين فقدوا الثقة في كل شيء حتى في ايمانهم، ليجد نفسه في هذا المكان حيث تعرف على مجد.

مجد ..... التي حاولت ان تجد لنفسها طريقا للنجومية فلم تجد سوى الطريق الى البارات الصغيرة والملاهي الليلة المتوارية اسفل البنايات، لتغني فيها فلا يلاحظ وجودها الا القليلين الذين اهتموا بجسدها اكثر من استماعهم لصوتها....

ومع ملاحقات البعض ووعود البعض الاخر تستسلم مجد شيئا فشيئا، وتبدأ في التنازل عما ظنت انه من المقدسات، لتنتقل من مشاركة البعض الشراب الى مشاركتهم الفراش.

وبعدما تبين لها زيف الوعود، تبتعد مجد عنهم وتستسلم لمصيرها وتكتفي بالغناء في هذه الاماكن حيث راها وليد في هذا البار واستحوذت على مشاعره، وبعد عدة مرات انتبهت الى تواجده الدائم حينما تغني، وتشجع وليد ليعرفها بنفسه ولم يمض وقت طويل حتى توثقت علاقتهما وتحول من معجب الى صديق ثم الى اكثر من هذا.

انتبه ماهر لما حوله مع توقفها عن الغناء وتعلق نظره بها وهي تتجه الى الشاب الذي يشبه وليد وتجلس بجواره ويتبادلا حديثا هامسا، لينتبه الشاب الى نظرات ماهر اليهما فينهض من مكانه ويتجه اليه وقد بدا الغضب على وجهه...

- انت عايز مني ايه؟

صرخ في وجه ماهر بتلك الكلمات ولكن ماهر واصل التحديق فيه وهو لا ينطق ثم استجمع نفسه ليساله بصوت خافت:

- انت وليد؟؟

- ما انت عارف ان انا وليد ... انا سبتلك دنيتك كلها، جاي ورايا ليه؟؟ .... سبنا في حالنا انا ومجد.

اراد ماهر ان يصرخ في وجهه ليقول له انه هو من اوجده وانه مجرد شخص وهمي لا يعرفه اصلا، الا انه صمت وهو يتساءل عما يحدث له.

تركه وليد ليعود الى مجد ويتناول يدها لتنهض وتمشي بجواره وسط نظرات بعض الحاضرين التي ابت ان تترك جسدها حتى النهاية، واتجها سويا نحو الباب فهتف ماهر:

- مجد ....

التفتت اليه ورمقته بنظرة غلبها الحزن، ثم خرجت مع وليد ليتركاه وقد ازدادت حيرته واوشك عقله على الانفجار.

قفز من مكانه ليلحق بهما وما ان خرج الى الشارع حتى وجدهما قد اختفيا ....

.....

.....

.....

- وليد ... وليد ....

تسلل النداء الى عقل وليد ليجعله يفتح عينيه ويحاول ان يتبين مصدر هذا الصوت.

- ايه يا وليد؟؟..... انت نمت وانت بتكتب؟؟

استجمع تركيزه شيئا فشيئا لينظر الى صاحبة الصوت التي وقفت امامه بشعرها الكستنائي القصير و اخذت ملامحها الرقيقة في الوضوح امام عينيه.

- هيا الساعة كام يا وفاء؟

obeikandl.com

- الساعة قربت على اتناشر .. انا حضرت العشاء.

- حاضر ... دقيقة واحدة.

تابعها بعينيه حتى خرجت فأخرج هاتفه و فتح صورة محفوظة في ذاكرة الهاتف، واخذ ينظر الى نفسه في تلك الصورة وقد احتضنت اصابعه اصابع رقيقة لسيدة تقف بجواره وقد اراحت رأسها على كتفه وهي ترتدي ثوبا اسود لامع يكشف عن كتفيها.....

●●●

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهرس	الصفحة

المهاجر:..... ٧

لوح زجاج:..... ٢١

نادية الأخرى:..... ٢٩

الكومبارس:..... ٤١

منى:..... ٤٩

هذه الليلة:..... ٥٩

ربنا يتوب علينا:..... ٧١

الهروب:..... ٨١

العملية:..... ٩١

ربنا يسترها علينا:..... ٩٩

ستي:..... ١٠٧

ليلة الكاكاو:..... ١١٧

الفراق:..... ١٢٧

الإيشارب:..... ١٤١

الكاتب:..... ١٤٩

obeikandl.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

obeikandl.com